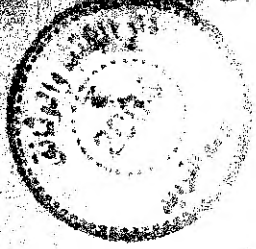


من التاريخ

« ٢ »



# الاساطيل العبرية

في البحر الأبيض المتوسط

تأليف

دكتور إبراهيم أحمد القدوى

أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد  
كلية دار العلوم — جامعة القاهرة

مستند الطبعة والنشر

مكتبة نفيسة مصر الجديدة

١٨ شارع كامل صدق

## مقدمة

يتمتع البحر الأبيض المتوسط منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر بموقع جغرافي فريد ، جعله مطمح كل قوة تبغى لنفسها الازدهار والسلطان . ولكن لم تستطع أية قوة أن تنال الخلود الذي فاز به العرب باستقرارهم على شواطئ هذا البحر . فبينما اندثرت حضارات وانهارت دعائم أمم ازدهرت على جوانب هذا البحر ، ما زالت أقدام العرب راسخة إلى اليوم في رقعة شاسعة ، تضم شواطئ الشام ومصر وشمال إفريقيا ، أى ما يقرب من نصف شواطئ البحر الأبيض المتوسط .

ويعزى سر هذا الخلود إلى أن العرب اتخذوا أهميتهم لركوب البحر الأبيض المتوسط وفق خطوات منظمة مدروسة ، بعيدة عن الارتجال ، وذلك منذ أطلوا على مياهه في القرن السابع الميلادى حاملين راية الإسلام . ويعالج كتاب « الأساطيل العربية » تلك المجهودات التى استطاع العرب القيام بها لبناء مجد بحرى لهم ، منذ قامت صفوة من قادتهم تدعو إلى بناء أسطول عربى فى البحر الأبيض المتوسط .

ولم يلبث هذا الأسطول العربى الفتى أن هزم بحرية الروم وانتزع منها سيادة البحر الأبيض المتوسط ، الذى زالت عنه صفة « بحر الروم » وصار بحيرة عربية . ولم تلبث الأساطيل العربية أن تعددت باهتمام العرب فى شمال إفريقيا ( بلاد المغرب ) والأندلس ببناء سفن حربية أسهمت فى إعزاز مجد العرب فى البحر الأبيض المتوسط .

وقد نالت الأساطيل العربية الفوز الباهر بفضل شبكة واسعة

(و)

من القواعد البحرية ودور الصناعات ، التي سهرت على خدمتها ، وكذلك نتيجة إعداد طبقة ممتازة من الرجال البحريين الذين قادوا تلك الأساطيل في براعة ومهارة إلى النصر المين . وينتهي العرض التاريخي للفترة التي يتناولها هذا الكتاب عند القرن الرابع الهجري ، الذي يعتبر حداً فاصلاً بين عهد أفراد الأساطيل العربية بمركز الصدارة في البحر الأبيض المتوسط وبين عهد التنافس الذي دب بينها وبين السفن الأوروبية ، التي عمدت إلى حرمان تلك الأساطيل من مكائدها وقواعدها البحرية .

غير أن التراث الذي خلفه العرب في ميدان البحر الأبيض المتوسط كان أصلب وأشد من أن تقتلعه محاولات المستعمرين الأوروبيين ، وظلت سيرة المجده البحري ، التي يرويها كتاب الأساطيل العربية ، الهاتف الذي يذكر الأجيال العربية بما نالوه من عزة وسؤدد على جوانب البحر الأبيض المتوسط ، والتهراس الذي يضيء لهم اليوم طريق استرداد تلك المكانة السامية ، وجعل البحر الأبيض المتوسط حراً أن يصبح مرة أخرى بحيرة عربية .

ابراهيم أحمد المصري

القاهرة في ١٢ أكتوبر سنة ١٩٥٧

يا معشر الإسلام في أسطولكم

عزكم لكم ووقاية وسلام

جودوا عليهم بمالككم واقضوا له

ما نوجب الأغلاق والأزحام

لوا تفرغون صغاركم تاريخه

عرف البنون الجند كيف برأهم

أحمد حوفي

(أمير الشعراء)

## الفصل الأول

### نواة الأسطول العربي

في البحر الأبيض المتوسط

### خط الدفاع البحري

يعتبر القرن السابع الميلادي نقطة تحول كبرى في تاريخ العرب السياسي والحضاري ، إذ خرجوا في ذلك القرن من موطنهم الأصلي في شبه جزيرة العرب حاملين راية الإسلام إلى جيرانهم من الأمم . وقد بهر العرب أنظار العالم إذ ذاك بجاستهم الشديدة في نشر الدين الجديد ، وسرعتهم الحاطفة في الاستيلاء على أهم بقاع العالم القديم ، الممتدة من نهر الفرات إلى وادي النيل .

على أن الدهشة التي أثارتها موجة الفتوحات العربية في القرن السابع الميلادي لم تلبث أن تضاءلت أمام ما أظهره العرب من وعي بحري ناضج في تلك الفترة المبكرة من تاريخهم السياسي ، وقد بنيتهم على ركوب سفن البحار بنفس المهارة التي قادوا بها سفن الصحراء عبر الكثبان والرمال . ولم ينل العرب تلك المكانة في عالم البحار عن طريق الصدفة أو تقدير المقادير ، وإنما وصلوا إلى مصاف الأمم البحرية الكبرى التي عرفها البحر الأبيض المتوسط عن طريق التجارب المضيئة وتجنب الأخطاء

(م - ١ : الأسطول العربي)



التي وقع فيها من سبقهم من أصحاب السلطان على شواطئ البحر الأبيض المتوسط .

وكانت تتردد في آذان العرب غداة استيلائهم على الشام ومصر في النصف الأول من القرن السابع الميلادي المحنة القاسية التي نزلت بالفرس بسبب إهمالهم لشئون الأسطول في البحر الأبيض المتوسط . ذلك أن الفرس كانوا قد استولوا على الشام ومصر سنة ٦١٤ م أي قبل الفتح العربي لهذين القطرين بنحو عشرين سنة تقريباً ، وتمادت بهم الآمال إلى الاستمرار على شواطئ البحر الأبيض المتوسط<sup>(١)</sup> .

ولكن غاب عن الفرس أن الروم أصحاب السيادة على البحر الأبيض المتوسط لن يرضوا الطرف عن أغنى أقاليمهم وهما الشام ومصر ، وأنهم لا بد قانعون بحركة استرداد لمكانتهم في شرق البحر الأبيض المتوسط . واستطاع الروم فعلاً استعادة سيادتهم البحرية بفضل تقوية أسطولهم في البحر الأبيض المتوسط ، والاستفادة من إهمال الفرس لشئون شواطئ الشام ومصر ، وافتقارهم إلى أسطول يحمي تلك الشواطئ . كذلك .

وتجلت أهمية الأسطول لكل من يرغب السيادة على البحر الأبيض المتوسط وتدعيم أقدامه على شواطئه حين ظهر الامبراطور هرقل على مسرح دولة الروم ، وأخذ يعيد قواتها البحرية لطرد الفرس من الشام ومصر . إذ أعد الامبراطور هرقل حملة أفلتها سفن الروم من العاصمة

(١) كان الفرس يطمعون منذ أقدم عصورهم التاريخية في الاستيلاء على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ليرجعوا مكانتهم التجارية في آسيا ، وليجنوا ثمار موقعهم الجغرافي على الطريق التجاري العظيم بين الشرق والغرب . وكانت المحاولة السالفة الذكر آخر مجهوداتهم في تحقيق آمانيهم قبل ظهور الإسلام .

« القسطنطينية » ، وأبحرت مباشرة إلى شواطئ الشام الشمالية . ثم نزلت قوات الروم في المنطقة الممتدة بين شمال الشام ومنطقة قلبيقة من آسيا الصغرى لتتجنب الاصطدام المباشر بقوات الفرس البرية ، التي انتشرت خلالها في آسيا الصغرى<sup>(٢)</sup> .

وأتت سياسة هرقل البحرية ثمارها في إنقاذ دولة الروم ، واسترداد الشام ومصر في سهولة ويسر . إذ ظن الفرس أن زوال قوات الروم في شمال الشام مناورة حرية من هرقل لتطويق جيوشهم في آسيا الصغرى ، ثم اندفاع تلك القوات مباشرة إلى المدائن عاصمة فارس ، والاستيلاء عليها في غيبة القوات الفارسية المبعثرة في بلاد شرق البحر الأبيض المتوسط . ولذا سحب الفرس قواتهم على عجل من الشام ومصر ، وعادوا إلى بلادهم للدفاع عن العاصمة والمدائن ، وسار هرقل في إثر القوات الفارسية مستفيداً من سلطان بلاده على هذا الشطر الهام من البحر الأبيض المتوسط بفضل بحلة بحرية واحدة<sup>(٣)</sup> .

ولكن قبل أن يسترد هرقل أنفاسه ، وبينما ثمار انتصاره اطلن العرب سنة ٦٣٢ م من شبه الجزيرة العربية حاملين راية الإسلام ، واستولوا في سهولة وسرعة فائقتين على الشام ومصر . وبهذا الفتح العرفي استهل البحر الأبيض المتوسط صفحة جديدة من تاريخه الطويل . ذلك أن سيادة الروم البحرية وجدت في العرب منافساً خطيراً . حيث عرف العرب اسمهم الذي لصق طويلاً بالبحر الأبيض المتوسط ، حيث عرفوا العرب بالروم ، وقروا عدة باسم « بحر الروم » .

(١) *Barro's History of the later Roman Empire II, 224-230*

(٢) *Ibid 231-222*

(٣)

في تلك الفترة التي تحب العرب للكارثة التي حاقت بالفرس إلى  
التي أراد أن يعيد بحملته البحرية قصة حرق هرقس في الشرق ، إذ أن  
الغزو العربي إلى أسطول بحري ، وعقد إلى معاقلهم في الشرق  
والاستيلاء عليها ، وجعلها قاعدة لإخراج العرب من مصر إلى أسطول  
واسع في خطته البحرية بإرسال حملة أخرى من مصر إلى الشام  
في نفس الوقت الذي يهجم فيه أسطوله على الإسكندرية حتى يحول الضيق  
على العرب بين التعاون فيما بينهم .

وقد عبأ قنسطانز أسطوله من خيرة رجال دولته بإقليم آسيا الصغرى ،  
وبالبحر في الإنفاق على العدد والعتاد ليحقق أهدافه في سهولة وسرعة . ولم  
يعد قنسطانز عقبات في إعداد السفن اللازمة لأنه باذرعفت تخلصه من  
مشاكله الداخلية بإصلاح دور الصناعة ولا سيما في الجزر القريبة من شواطئ  
الشام . وبذلك وجدت سلطات الروم كافة الوسائل التي أتاحت لها إرسال  
أسطول قوى للإغارة على مصر والشام .

وتولى الحملة البحرية على الإسكندرية مانويل أعظم قادة الروم ، والذي  
سبق له الدفاع عن الاسكندرية إبان هجوم العرب عليها سنة ٦٤١ م .  
واستطاع قائد الروم أن يفاجئ الحامية العربية بالإسكندرية وأن يتغلب  
عليها ، برغم شدة مقاومتها ، بسبب درايته بمسالك هذا الميناء الهام<sup>(١)</sup> . غير  
أن شدة المقاومة العربية أتاحت للخليفة عمر بن الخطاب في الحجاز أن يبعث  
الأمداد إلى مصر ، وعلى رأسها عمرو بن العاص الذي سبق له بدوره  
الاستيلاء على مصر .

على عهد الإقليم سنة ٢٥ هـ / ٦٤٤ م

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٥٧ .



واستطاع عمرو بن العاص مطاردة الروم من شمال الدلتا والجام إلى الإسكندرية التي تحصنوا بها ، واستماتوا في الاحتفاظ بها . وقد نصب الروم المجانيق على أسوار الإسكندرية ، واخذوا يمحطون العرب بوابل من القذائف . وعانت القوات العربية الكثير من المتاعب في حصارها للإسكندرية ، واستبد الخنق بعمر بن العاص حتى أقسم لن استولى على المدينة ليهدم أسوارها ، ويعملها كيف الزانية يؤتى من كل مكان<sup>(١)</sup> .

وكان السبب في قوة حركة مقاومة الروم بالإسكندرية هو وجود أسطولهم في ميناء الإسكندرية ، بزود المقاتلين بالعدة والعتاد ، ويقب حارسا حاميا لظهورهم . ومن ثم طال حصار عمرو بن العاص للإسكندرية وكان حصارا أشق وأضنى من حصاره الأول لتلك المدينة . ولم يتمكن عمرو بن العاص من اقتحام المدينة إلا بعد أن أرشده أحد المصريين المواليين للعرب على أحد الأبواب الضيقة الحراسة . وأعمل السيف في قوة الروم المقيمة بالإسكندرية ، والتي خرقاؤها مانويل نفسه قتيلا . واستطاع الجند العرب كذلك مفاجأة سفن الروم في ميناء الإسكندرية وتدمير عدد كبير منها . وفي نفس الوقت الذي هزم فيه عمرو بن العاص الروم بالإسكندرية كانت حاميات الشام العربية تقاوم إغارات سفن الروم على المدن الساحلية واستطاعت تلك الحاميات برغم قلة عددها أن تصد هجمات الروم وتنزل بها خسائر فادحة . وعندما جاءت الأنباء بهزيمة الروم في الإسكندرية أقلعت السفن عائدة ، بعد أن فشلت بدورها في مساعدة مانويل على الاستيلاء على مصر . وبذلك استطاع العرب القضاء على حملة الروم البحرية . ولكن بعد عتاد وتضحيات جسيمة ، جعلتهم يضعون سياسة جديدة لمواجهة أساطيل الروم<sup>(٢)</sup> .

(١) القزويني ، المعتمد ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

(٢) Bury, op. cit. II, 288 .

## دعاة الأسطول العربي

بعد انتصار العرب على الروم في الإسكندرية والشام قام نفر منهم يدعو إلى نبذ السياسة البحرية الدفاعية ، لأنها لم تعد كفيلة بالمحافظة على سلامة ممتلكاتهم ، وأن مقتضيات الظروف تتطلب بناء أسطول عربي في البحر الأبيض المتوسط يرد عن الشواطئ العربية غائلة الروم وهي في عرض المياه ، قبل مفاجأتها للسواحل . وجاءت تلك الدعوة العربية عنواناً على أن قوة بحرية جديدة حان ميعاد ميلادها ، وأن البحر الأبيض المتوسط يشاهد في أمة العرب مظاهر تختلف تمام الاختلاف عن دولة الفرس .

وكان صاحب الدعوة الأولى إلى بناء الأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط هو معاوية بن أبي سفيان وإلى الشام ، زمن الخليفة عمر بن الخطاب ثم عضده في تلك الدعوة وإلى مصر عبد الله بن أبي سرج ، الذي خلف عمرو بن العاص على ولاية تلك البلاد في عهد الخليفة عثمان بن عفان . ويرجع السبب إلى سبق معاوية في الدعوة إلى ركوب البحر الأبيض المتوسط ، التجارب القاسية التي مرّ بها أثناء فتح إقليم الشام ، بناء على سياسة العرب البحرية الهجومية تستند إلى أسس سليمة وليست بالفرس والتجسس<sup>(١)</sup> .

(١) ينسب معاوية بن أبي سفيان إلى البيت الأموي ، واستطاع أن يوسع من ممتلكات المسلمين المتوسط . ذلك أن بني أمية أدركوا أهمية هذا البحر لخطته في توسيع الإسلام إلى الشام ، والاتصال بدولة الروم سيدة هذا الإقليم . وارتكبت الفرس ممتلكات في إقليم الشام زادت من رواطهم بيمين البحر الأبيض المتوسط . والفرس والبيزنطيون س ٣٠ - ٣٢ .

تلقى معاوية الدرس الأول في أهمية البحر الأبيض المتوسط وضرورة السيطرة على السواحل العربية في مياهه حين اضطلع بعء فتح مدن الشام الساحلية التي كانت تحت الحكم البيزنطي، أحد قادة العرب في الشام قد استعصت عليه المدن الساحلية لأنها مغلقة عن متانة حصونها ومنعتها كانت متصلة بالبحر مباشرة، تتلقى الإمدادات من دولة الروم، وكذلك المؤن التي تضمن لها البقاء والمقاومة. ولم يترك يزيد لأخيه معاوية مهمة إخضاع تلك المدن الساحلية وعاد إلى دمشق (١).

وجد معاوية أن خير طريقة للاستيلاء على مدن الشام الساحلية هو تشديد حلقه الحصار البري عليها، وانهاز الفرصة المواتية لاقتحام أسوارها، لأن أسطول الروم يقف من خلف تلك المدن ويشد من أزرها. ونجحت سياسة معاوية إزاء المدن الساحلية الشامية حين اتجه إلى فتح قيصرية وطرابلس الشام. وكانت المدينة الأولى قد استعصت على عمرو بن العاص نفسه، ذلك القائد الماهر الذي فتح منطقة فلسطين. إذ بعد مغادرة عمرو بن العاص فلسطين متجهاً لفتح مصر، سار معاوية إلى هذه المدينة وألقى عليها الحصار.

وظل معاوية مثابراً في حصاره أمام مقاومة المدينة وعنادها، إذ كانت مثل سائر المدن الشامية الأخرى على الساحل تتلقى الإمداد وآلات الدفاع من الروم عن طريق البحر، وصدت هجمات العرب المتوالية. وظل معاوية على حصاره لقيصرية عدة سنوات حتى تمكن أخيراً من اقتحامها سنة ٦٤٠ م بفضل خيانة يهودي بها يدعى يوسف. إذ أتى ذلك الرجل إلى العرب ليلادهم على طريق يمكن مهاجمة المدينة منه، بعد أن أخذ

سهم أماً لنفسه وأهله. وبجح معاوية بذلك في اقتحام قيصرية التي كان السقوط فيها في يد العرب فرحة كبرى عند الخليفة عمر بن الخطاب (٢). وأظهر معاوية مهارة فائقة في فتح مدن الشام الساحلية حين قصد الاستيلاء على طرابلس الشام، إذ كانت تلك المدينة محصنة بشيخوخة وعتاة الإغريق، ثم إنها بذت سائر مدن الشام منعتها، حيث كانت ميناء عظيم اتسع لعدد كبير من السفن. ولم يترك طرابلس كذلك على البحر يحيط بها من ثلاث جهات، يصل أسوارها إلى البحر على حين يحيط بسورها خندق عظيم. وزاد في منعة هذه المدينة سهولة حصولها على الإمداد وجود أربع جزر صغيرة تقع إحداها وراء الأخرى في مياه البحر القريبة منها (٣).

وجه معاوية إلى طرابلس سفيان بن يحيى الأزدي، ووضع خطة محكمة للاستيلاء عليها تتفق وافترار العرب إلى أسطول بحري في ذلك الوقت. وكانت تلك الخطة تهدف إلى تضيق الحصار على طرابلس برأ ومحاولة منع وصول الإمداد إليها من سفن الروم. فبنى القائد الأموي حصناً في مرج يقع على أميال من طرابلس وضيق على أهلها الخناق. ولما اشتد الحصار كتب سكان المدينة إلى إمبراطور الروم يطلبون منه إرسال أمداد أو إيفاد سفن يهربون عليها. ولما لم يكن ثمة مناص من التسليم بعث إمبراطور الروم بسفن حملت الجند في جنح الليل، وخلت حصون المدينة من المدافعين عنها، وتم لمعاوية بذلك الاستيلاء على هذا الميناء الهام (٤).

(١) البلاذري، نفس المرجع، ص ١٤٧، ٤. Miur, The Caliphate, 124.

(٢) Le Strange, Palestine under The Muslims, 248.

(٣) البلاذري، نفس المرجع، ص ١٣٣.

(٤) البلاذري، نفس المرجع، ص ١٣٤.



وإذا كان معاوية بن أبي سفيان قد بذل في فتح المنطقة الساحلية من إقليم الشام جهوداً ذات « بلاء حسن وأثر جميل » كما شهد له بذلك عمدة المؤرخين في الشام ، فإنه خرج من تلك العمليات الحربية بنتيجة هامة ، كانت السبب الرئيسي في بناء الأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط . فقد أدرك معاوية أن بقضاء العرب واحتفاظهم بممتلكاتهم في الشام ومصر رهن بالاستيلاء على جزر البحر الأبيض التابعة للروم ، والتي كانت قواعد بحرية خرجت منها الإمداد إلى مدن الشام أثناء حصار العرب لها .

وبدأ معاوية يعمل على تحقيق أهدافه البحرية بعد أن انفرد بولاية الشام على عهد الخليفة عمر بن الخطاب ؛ حتى غدت فترة ولايته على الشام الحجر الأساس في صرح الأسطول العربي فيما بعد ، وفتاحة المجد البحري العربي عند الإطلاق . وتجلت الخطوط الرئيسية للبرنامج البحري الذي رسمه معاوية حين أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في غزو جزيرة قبرص مبنياً له شدة خطورة هذا المعقل التابع للروم على سلامة مدن الشام ، إذ جاء في خطابه : « يا أمير المؤمنين ، إن بالشام قرية يسمع أهلها نباح كلاب الروم وصياح ديوكهم ، وهم تلقاء ساحل من سواحل حمص<sup>(١)</sup> ، ثم حزم خطابه بعد هذا الوصف الدقيق المؤثر بالسماح له بغزو تلك الجزيرة .

ولما زاد الخليفة عمر بن الخطاب أن يعرف آراء قادة المسلمين في طلب معاوية ، وعرض على ولايتها ، ولا سيما أنه يحمل العرب على اقتحام ميدان البحر ، وطلب من الروم تسوية الحدود بين الروم والروية ، فضلاً عن أن هذا الموضوع الذي كان يثار بين الروم والروية ، لا بد من عرضه على كبار رجالات العرب ، ووافق الخليفة عمر بن الخطاب على عمرو بن العاص وإلى مصر

إذ ذلك ، لما لهذه الولاية من شواطئ على نفس البحر الأبيض المتوسط مثل الشام ، ولأنها كذلك تعرضت للاغارات البحرية التي شنها الروم على السواحل .

وجاء رد عمرو بن العاص وصفاً دقيقاً لطبيعة البحر وركوب مياهه ، وما يلاقه المرء في ذلك من صعاب . فكتب إلى الخليفة : « إن رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، إن ركن خرق القلوب ، وإن تحرك أزعج العقول ... هم فيه كدود على عود ، إن مال غرق ، وإن نجى برق<sup>(٢)</sup> . ولم يكن عجباً أن يؤثر الخليفة عمر بن الخطاب التريث في إجابة طلب معاوية بعد أن وقف على رأى عمرو بن العاص في البحر وراكبه .

وبذلك ظهرت عدة آراء إزاء ركوب البحر الأبيض المتوسط ، أحدها ينادى به معاوية ، وهو ضرورة بناء أسطول عربي يدافع عن أرض العرب في الشام ومصر ، والثاني ينادى به عمرو بن العاص ، وهو تجنب المخاطر البحرية ، والآخر اعتنقه الخليفة عمر بن الخطاب وهو يؤثر الوقوف على الحياد إزاء تلك المشكلة الخطيرة . وكان رائد الخليفة في اتخاذ هذا الموقف الحيادي هو الحرص على سلامة المسلمين ، حيث قال لمعاوية في الرد على طلبه بغزو قبرص : « تاقه لمسلم أحب إلى مما حوت الروم<sup>(٣)</sup> .

ولكن معاوية لم يكن بأقل من الخليفة حرصاً على سلامة المسلمين ، وإنما كان أشد الولاة إحساساً بالخطر الذي يلوح في الأفق ، ولما كان الشام وكذلك مصر بسبب وجود أسطول الروم في البحر الأبيض المتوسط ، فاعتبارهما إلى وسائل الدفاع . وأثر معاوية في هذا الموضوع

(١) الطبري ، المرجع السابق ، ج ٥ ، ص ٥٢ .

(٢) الطبري ، نفس المرجع ، ج ٥ ، ص ٥٢ .

في حال وقوع هجوم على ما اتصف به من دهاء وحيلة ، ولا سيما إزاء موقع  
الجنود الذين ظهروا بصدده وغيبته في الهجوم على جزيرة قبرص  
في عام ١٠٠٠ م ، فإلى الخليفة عمر بن الخطاب يعرض عليه  
حال السواحل الشام وما هي عليه من خراب وافتقارها إلى وسائل الدفاع  
البحرية .

ولم يتردد الخليفة عمر في أن يطلق يد معاوية لإصلاح حال السواحل  
عبر أملاكه كتيلا بسلامتها من دمره حصونها ، وترتيب المقاتلة فيها ، وإقامة  
الحرس على مناطرها واتخاذ المواقيد لها (١) . واستغل معاوية هذا التصريح  
وأخذ خطوة أساسية يبنى عليها مشاريعه البحرية . فآثر أن يحصن المدن  
الساحلية ويؤدها بالقوات المحاربة ، بما يجعلها قواعد في المستقبل تنقل منها  
الجنود بحراً إلى أي مكان يشاء .

ووضع معاوية لبلد الساحلية نظاماً عرف بالرباط ، وهو ما يقصد به  
الأملاك التي تتجمع بها الجند والركبان استعداداً للقيام بحملة على أرض  
العدو . واعتنى معاوية بهذا النظام حتى أصبح جزءاً مرتبطاً أشد الارتباط  
بالجهاد أو الحرب المقدسة ، ذلك أن الرباط اجتذب إليه كل الاتقياء  
المحسنين العاملين دائماً على إعزاز الإسلام ونصرتة ، وكان لهذه الظاهرة  
السالفة أثر كبير في تكوين الجنود الأول الذين عملوا في الأسطول العربي  
في عهد المبكر .

وجاء إعداد الرباط عملاً يتفق مع خطة معاوية البحرية ، والتي تستهدف  
تأمين السواحل أولاً ، وإعداد قواعد بحرية للمستقبل ثانياً . فكان الرباط

هو ما يتجمع فيها الجند للدفاع عن المناطق المروحية والمناطق الساحلية  
التي تكون ملجأً يحمي بها الأهالي في المناطق التي يهددها العدو .  
وكانت تتمتع حاميات الرباط لإبذار الأهالي في المناطق الساحلية بالآمان  
الذي لا يخدروهم إذا ما لاح خطر سفن الروم في المياه الإقليمية . فكان  
الحرس في الرباط يضم حجلات الجند ومما كان على حمارين إلى منطقة  
المون ، وبرجاً للراقبة . غير أن الرباط لم تلبث أن أصبحت وازدادت  
أهميتها حتى صارت قواعد للهجوم البحري وشن الغارات .

وأكتفى معاوية بسياسة تقوية السواحل حتى أول الخلافة عثمان بن  
عفان ، إذ خطا منذئذ خطوة ثانية في متابعة سياسة البحرية ، وتشجيع  
الناس على النزوح إلى المناطق الساحلية ، ليعنى عدم تركها في أيدي  
ويعتبر معاوية على تحقيق خطته أن الخليفة أمر بمنح كل واحد في الإقامة  
بلد الساحلية إقطاعات من الأرض يستغلها وتمتع بحرايتها . فترتب على  
ذلك ازدياد العمران بالسواحل ، واثقال الناس عليها التمتع بامتيازات  
الإقامة بها ، دون أن يأبهوا بمخاوف التعرض لاعتداءات سفن الروم .  
وبما ساعد على طمأنينة سكان السواحل أن معاوية أعد جيشاً ثانياً في المدن  
الساحلية للدفاع عنها إلى جانب قوات الرباط ، كما دأب على أخذ أرض من  
يتخلف عن الغزو ، وإعطائها للجند المقيم على حراسة السواحل أثناء  
الخروج للغارة (٢) .

وتعتبر سياسة منح الإقطاعات بالسواحل الخطوة الأخيرة في سلم  
السياسة البحرية الدفاعية التي رسمها معاوية قبل أن يستطيع ركوب البحر

(١) البلاذري ، نفس المرجع ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) البلاذري ، نفس المرجع ، ص ١٣٥ .



الأيض المتوسط في عهد الخليفة عثمان بن عفان . إذ أتم بفضل هذه الامتيازات إعداد القواعد البحرية التي أنشأ فيها أساطيله فيما بعد . وكانت آية ازدهار المدن الساحلية نقل جماعات من أهالي بعلبك وحمص وأنطاكية سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣٢ م إلى صور وعكا وغيرها من المدن الساحلية<sup>(١)</sup> . وكذلك أصلح معاوية الحصون البحرية ، ولا سيما حصون عكا التي خرج منها بأولى حملاته البحرية ضد قبرص .

وبسط معاوية اهتمامه إلى سائر المدن الساحلية ، فتح الجند أراض كذلك في أنطرسوس ومرقية وبلنيس ، واهتم اهتماماً خاصاً برباط عسقلان والجند الموكلين بحمايتها<sup>(٢)</sup> . وأخيراً جدد بعض الحصون في المدن التي خربت معاقلها القديمة ، كما فعل في مدينه جبلة . ومن ثم آتت سياسة الاقطاعات ثمارها ، فعمرت الثغور البحرية لأن الناس انتقلوا إلى السواحل من كل ناحية<sup>(٣)</sup> ، على حد قول المؤرخين المسلمين .

وحسب معاوية عار هذه السياسة التمهيدية حين استطاع أن يظهر من الخليفة عثمان بن عفان بتصریح يبيح له غزو قبرص ، إذ سمح له الخليفة بالقيام بالبحر على شرط ألا يكره أبداً على ركوب البحر ، وأن يبقى أساطيله من المطرعة فقط . ولم يلق معاوية عناء في اجتذاب الجند إلى هذه الحملات البحرية ، إذ كانت المدن الساحلية مملوءة بالعسكريين وغيرهم من الناس الذين انتقلوا إلى السواحل ، وتطلعوا إلى حوص عثمان

(١) الألباني ، فين الرجوع ، ص ١٢٢ .

(٢) الألباني ، فين الرجوع السابق ، ص ١٤٠ ، ١٤٩ .

(٣) الألباني ، فين الرجوع السابق ، ص ١٣٥ .

الميدان البحري تحت راية معاوية ، مخلصين اسمهم في طليعة الحملات الإسلامية البحرية .

وإذا كان لمعاوية الفضل في بناء السياسة البحرية التي غرست نواة الأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط ، فإن وإلى مصر زمن الخليفة عثمان بن عفان ، وهو عبد الله بن أبي سرح . يعتبر الساعد الأيمن لمعاوية في مجهوداته لخلق الأسطول العربي . ذلك أن عبد الله بن أبي سرح خلف عمرو بن العاص على ولاية مصر ، وبذلك اختفت شخصية عمرو الذي عارض ركوب البحر .

وكان عبد الله بن أبي سرح من المتحمسين لبناء أسطول عربي في البحر الأبيض المتوسط ، ومن ثم وضع موارد مصر البحرية ورجالها في خدمة معاوية ، والمساهمة معه في سائر الحملات البحرية التي أعدها لضد الروم . وبلغ من إيمان عبد الله بن أبي سرح بضرورة إنشاء أسطول عربي ، أنه خرج بنفسه في الحملات البحرية ، ليضرب المثل الأعلى لسكان بلاده على ثقافته في نصرة البحرية العربية .

وتعتبر مجهودات عبد الله بن أبي سرح الخطوات الأولى في بناء الأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط . فإذا كان عثمان بن عفان قد بدأ الخطوات التمهيدية لبناء السفن ومنحها بالمقاتلة من الرزم والرجال ، فإن عبد الله بن أبي سرح هو الذي بدأ بناء السفن النمل التي كانت تسمى "الغزاة" والتي كان الأسطول العربي . ذلك أن مصر كانت أيام عبد الله بن أبي سرح تحتلها العرب عليها مشهورة بمهارة صناع السفن فيها . وقد ورد في التاريخ أن عبد الله بن أبي سرح قد أخرجت الأعداد الوافرة من سفن الروم . فتابع عبد الله بن أبي سرح

## الفصل الثاني

### السيادة البحرية

#### التعاون البحري بين الشام ومصر

شاهدت مياه الشطر الشرقى من البحر الأبيض المتوسط النشاط الأول للأسطول العربى ، وزحفه نحو المجد والسود . ذلك أن فتح العرب للشام ومصر جعلهم يشرفون على تلك المياه التى امتلأت إذ ذاك بقواعد الروم أعداء العرب الألداء ، وكان لابد من قيام صراع مرير بين العرب والروم على سيادة هذا البحر ، الذى يعد مصدر السلطان والمنفعة لمسل كل قوة تبغى لنفسها الازدهار والبقاء .

وانتهل العرب نشاطهم البحرى فى ذلك الشطر الشرقى من البحر الأبيض المتوسط استهلالاً طيباً موقفاً ، أذهل الروم وجعلهم يدركون قوة الأسطول العربى الذى ولد فتياً . وكان السبب فى تلك البداية البحرية الرائعة هو ما فطر عليه العرب من قدرة على الاستفادة مما يقع فى أيديهم من تجارب الأمم السالفة لهم . ومن ذلك أن العرب كلما فتحوا قطراً من الأقطار درسوا نظمه الإدارية ومظاهره الحضارية ، وأبقوا على الحسن فيها وإزالة ما لا يتفق منها والوضع العربى الجديد .

وعند ما فتح العرب الشام ومصر وجدوا لها نظاماً بحرياً جيداً ، يمكن

(الأسطول العربى)

وبعث بها إلى الشام التى كانت خالية إذ ذاك من النشاط . وقد ساعدت العوامل الطبيعية على تعضيد التعاون البحرى بين كل من مصر والشام . وعبد الله بن أبى سرح والى مصر . ذلك أن مصر مصرية فى أصلها التى تصلح لبناء السفن على حين تكثر بالشام النشآت التى تورد مصر ودور صناعتها بما تحتاجه من أجود الأخشاب . ومن ثم كانت مصر تستورد من الشام الأخشاب وتردها سفناً شائعة تعلى من راية العرب فى قواعد الشام البحرية .

وطالت مصر وخدها مصدر بناء السفن العربية حتى سنة ٥٤٩ / ٦٦٩ م . إذ من الروم فى تلك السنة غارة شديدة على سواحل الشام ، وكانت تلك الإغارة من العنف بحيث جعلت معاوية يفكر فى إنشاء دور لصناعة السفن بالشام نفسها إلى جانب دور الصناعة بمصر ، حتى يجد لديه أساطيل على أهبة الاستعداد إذا ما دمر العدو السفن الرابطة فى قواعد الشام . ولذا أمر معاوية فى نفس السنة التى حدثت فيها إغارة الروم على الشام بجميع الصناع والتجارين وإرسالهم إلى عكا ، التى وقع اختياره عليها لنشئ بها أول دار لصناعة السفن بالشام<sup>(١)</sup> . وكانت عكا تستطيع الحصول على ما يلزمها من أخشاب لبنان ، التى اشتهرت بصفة خاصة بصلاحياتها للجاذيف<sup>(٢)</sup> .

وبذلك استطاع دعاة الأسطول العربى أن ينجحوا فى تحقيق مآربهم بفضل مآبرتهم وتعاونهم ، وخرجت طلائع الأسطول العربى إلى البحر الأبيض المتوسط تعلى من شأن العرب وتعلن ميلاد مجد البحرى

(١) اللاذقى ، نفس المرجع ، ص ١٢٤ .

Seiple, The Geography of the Mediterranean, 810-811

مكتبة جامعة القاهرة

٥٦٧ هـ



اتخاذها أساساً لقوتهم البحرية الجديدة . ذلك أن التقسيم الإدارى لدولة الروم قبل ظهور الإسلام جمع بين الشام ومصر في العمليات البحرية ، بحيث قضى بتعبئة أساطيلهما معاً لإخضاع العناصر التى تشق عصا الطاعة على سلطات الروم في أى بلد من البلاد التابعة لهم في البحر الأبيض المتوسط . واتخذ العرب من تلك الظاهرة السالفة أساساً للتعاون البحرى بين الشام ومصر في نضالهم ضد الروم . فاختصت مصر أولاً ببناء سفن الأسطول العربى ، حيث كانت دور الصناعة فيها آمنة ، وبعبدة عن إغارات الروم . ثم اختصت الشام باستقبال السفن التى صنعت في مصر ، حيث تتجمع في موانئها ، وتشحن بالمقاتلة والعتاد ، لأن قواعد الشام البحرية تقترب من أراضي الروم وجزرهم بالبحر الأبيض المتوسط ، ويسهل بذلك مهاجمة الروم من تلك القواعد الشامية .

وعندما قامت في الشام دور الصناعات لبناء سفن الأسطول العربى كذلك دخل التعاون البحرى بين مصر والشام في دور جديد . ذلك أن البحارة والمقاتلة الذين عملوا في الأسطول العربى جاءوا من سكان الشام ومصر ، وجازوا جنباً إلى جنب دون أية تفرقة . وكان اعتماد العرب في تلك الفترة العسكرية من نشاط أسطولهم على أقباط مصر وسكان الشام والذين همزوا في ركوب البحار وتدربوا على فنون القتال فيه . ولم ينسحب من العرب في تلك الحملات البحرية الأولى غير الفينيقيين ، ولا سيما جماعاتهم وقبائلهم التى استقرت في الشام قبل الفتح العربى ، إذ أن لعرب الجنوب ماضى بحرى تليد ، وخبرة بركوب البحار .

وبذلك جمعت العوامل الجغرافية بين الشام ومصر منذ فجر الفتح العربى

لها ، وقاما بدور مجيد في خدمة الأسطول العربى<sup>(١)</sup> . وفضلاً عن ذلك لم ينفك عربى ذلك التعاون البحرى بين الشام ومصر ، والذي وضع أساسه معاوية بن أبى سفيان وعبد الله بن جراح سرح أيام ولايتهما لهذين الإقليمين على عهد الخليفة عثمان بن عفان . فبعد نجاح معاوية في الحصول على الخلافة وتأسيس البيت الأموى حرص كل حرص على أن تكون مصر على اتفاق تام مع الشام ، وأن يكون ولايتها مخلصين تمام الإخلاص للبيت الأموى .

وتجلت سياسة معاوية في تدعيم التعاون بين مصر والشام أثناء الحروب الأهلية التى نشبت بينه وبين على بن أبى طالب من أجل الخلافة . إذ صمم معاوية على بقاء مصر في التبعية له ، وانزاعها من قبضة أتباع على بن أبى طالب . فعهد معاوية إلى عمرو بن العاص فاتح مصر الأول وذاهبة قادة المسلمين بالاستيلاء عليها مقابل الحصول على خراج مصر سبع سنين . وباستيلاء عمرو على مصر استطاع معاوية أن يبقى على التعاون البحرى بين مصر والشام ، وتنظيمه بما يحقق للأسطول العربى الناشئ القوة والنصر . وتابع خلفاء معاوية الاهتمام بسياسة التعاون بين مصر والشام ، ولا سيما أنهم صاروا سادة الدولة الإسلامية ، وفي استطاعتهم تحقيق سيطرتهم في سهولة ويسر ، بسبب تبعية مصر لهم . فاستند خلفاء معاوية للاستيلاء شئون مصر ولادة من أفراد البيت الأموى نفسه أو من أشد الناس إيماناً بالشام .

(١)

يعتبر الوضع الجغرافى لمصر والشام ذا أثر كبير في بناء الأسطول العربى الأبيض المتوسط . وقد عرف تلك الحقيقة كل من حكم مصر والشام من قبل الفتح العربى ، حيث حرص كل منهما على بقاء العلاقات الطيبة وأسباب خلق الجوار القوي بين الظاهرة منذ أيام الفراعنة في مصر والفينيقيين في الشام ، كما حرص على تحييد العرب في مصر والشام . وتجاهد مصر وسوريا اليوم على تحقيق هذا الهدف الجغرافى

ووفاء لهم . وبذلك ظلت مصر على اتصال دائم بشئون الشام ، كما ظهر التعاون البحري بينهما جلياً طوال العصر الأموي .

ولقد كشفت بعض أوراق البردى التي وجدت بمصر ، وترجع إلى ولاية قره بن شريك ، الوالي الأموي على مصر سنة ٩٠ هـ ، كشفت تلك الأوراق عن حرص الأمويين على المحافظة على التعاون البحري بين الشام ومصر . ثم أن تلك الأوراق أظهرت حقيقة أخرى هامة ، وهي اشتراك المصريين إلى جانب أهل الشام في الحروب البحرية ، وثناء المصريين على روح الأخوة التي وجدوها من بحارة الشام أثناء إقامتهم في ديارهم .

ويعتبر هذا التعاون البحري بين مصر والشام حجر الزاوية في صرح الأسطول العربي في صدر نشاطه ، والسبب في الانتصارات الباهرة التي أحرزها هذا الأسطول منذ أيامه الأولى ثم إن التعاون البحري المصري الشامى صار كذلك النموذج الذي نهج العرب على منواله كلما اتسعت بهم الفتوح ، لأنهم لمسوا فوائده وثماره الطيبة في ميدان البحار .

## فتح قبرص

وبدأت مظاهر التعاون البحري بين مصر والشام تتجلى حين صمم معاوية على استخدام الأسطول العربي الناشئ في الاستيلاء على جزيرة قبرص ، التي كانت محور مكاتباته مع الخليفين عمر وعثمان ، يلتبس منهما السباح له بغزوها . وكانت استعدادات معاوية البحرية لغزو قبرص تتناسب مع أهمية الحملة وضخامة أهدافها . إذ كانت هذه الجزيرة من أقدم المعاقل في شرق البحر الأبيض المتوسط ، وحرصت القوى المتنافسة فيه على إبقائها في دائرة نفوذها .

ومنذ بزغت شمس الحضارات في حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي والصراع مستمر على سيادة جزيرة قبرص ، التي تعتبر حجر الزاوية في قوة أية دولة تصل إلى مركز الزعامة في بلاد الشرق الأدنى<sup>(١)</sup> . وتجلت هذه الظاهرة منذ أيام نختمس الثالث إمبراطور مصر الفرعونية حتى العصر الحاضر ، أيام أحداث العدوان الثلاثي ( الإنجليزى الفرنسى الإسرائيلى ) على مصر . إذ حرصت الدول الكبرى التي عرفها حوض البحر الأبيض المتوسط الشرقي على السيطرة على قبرص ، واستخدامها في تحقيق مآربها وأهدافها .

وتستمد جزيرة قبرص أهميتها من موقعها الجغرافى الذى يوحى للناظر أنها أشبه بمدفع يدوى ( مسدس ) فوهته مصوبة إلى إقليم الشام<sup>(٢)</sup> . وإلى جانب ذلك تحتل الجزيرة ركنا ممتازاً في الزاوية الشمالية الشرقية من البحر

(١) Hill, History of Cyprus I. I.

(٢) Semple, op. cit, 201.

الأيض المتوسط ، يجعل لها سهولة التحكم في مياه هذا الشطر الشرقي من البحر بما يطل عليه من البلاد ، إذ يمكن للمرء أن يرى من قبرص بالعين المجردة آسيا الصغرى والشام ، ويبحر منها مباشرة ، وفي وقت قصير ، متجهاً إلى بيروت أو بور سعيد أو الاسكندرية<sup>(١)</sup> .

غير أن أحداث قبرص انصلت اتصالاً مباشراً مع إقليم الشام ، وارتبطت مصيرها بأحوال القوى التي ظهرت في هذا الإقليم سواء في مشاريعها الحربية أو التجارية ، إذ يقترب طرف جزيرة قبرص الشرقي من خليج الاسكندرون الذي يقع خلفه الممر الجبلي الهام الممتد من ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى شمال العراق . وكان هذا الطريق من أهم المسالك التجارية التي عبرتها قوافل التجار المحملة بالمنتجات الشرقية إلى أسواق البحر الأبيض المتوسط .

وأدرك معاوية أهمية هذه الجزيرة وضرورة الإسراع بالهجوم عليها بسبب إغارات الروم على الشام ، واتخاذهم جزيرة قبرص محطة تموين في الطريق ، وعلجاً يعتصمون به حين تدفعهم الأحداث إلى الانسحاب . ودلت أحداث الحملة التي أعدها معاوية لغزو قبرص سنة ٥٢٨ / ٦٤٩ م ، على الأعراض التي حملت المسلمين على البدء بالإغارة على هذه الجزيرة ، كما أن معاوية حرص على اختيار كبار الشخصيات الإسلامية لمصاحبة في هذه الحملة ليكسب أولى حملات الأسطول العربي مظهر الجهاد الحق الرابع .

حينئذ معاوية أساطيله وقواته في ميناء عكا ، وكانت السفن جميعها من مصر ، على حين اشترك مع الجند العرب كبار رجال الشام وغيرهم

من مشاهير قادة العرب مثل عبادة بن الصامت . واتسمت هذه الحملة بخروج النساء معها ، حيث سجلت المرأة العربية إسمها بمداد الفخر في أولى حملات الأسطول العربي على جزر البحر الأبيض المتوسط . إذ اصطحب معاوية معه زوجته فاخته ، كما أخذ عبادة بن الصامت كذلك امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية .

وكان الخليفة عثمان بن عفان هو الذي أمر معاوية بأن يأخذ زوجته معه ليضمن صدق عزيمته في الإغارة على جزيرة قبرص ، ولتأكد من قربها من الشام على نحو ما ذكره معاوية في مكاتباته ، فجاء في خطاب الخليفة إلى معاوية : « فإن ركبك البحر ومعك إمرأتك ، فأركبه مأذوناً لك ، وإلا فلا »<sup>(٢)</sup> .

ولم يكن معاوية في حاجة إلى أن يقدم الدليل على صدق مشاريعه الحربية ، وأمله في عظمة الأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط . فأبحر من ميناء عكا على رأس أسطوله بعد انتهاء شتاء سنة ٥٢٨ / ٦٤٩ م ، ونزل على ساحل قبرص مسجلاً بذلك أول عبور حقيقة العرب لمياه البحر الأبيض المتوسط . وشاءت الأحداث أن تجعل هذه الغزوة رمزاً على اندلاع الوعي البحري عند العرب رجالاً ونساء ، فقد استشهدت أم حرام زوجة عبادة بن الصامت على أرض قبرص ، إذ حين رست السفن التي رافقت الأساطيل وأخذ الجند ينزلون منها ، تقدمت أم حرام لتزكك رجالها إلى الشاطئ وأوقعت أم حرام حيث لقيت حتفها ، مسجلة بذلك اسمها في صفحة درنها الأسطول العربي في مياه البحر الأبيض المتوسط .

(١) البلاذري ، فسطح المرجع ، ص ١٥٩ .

Hill, op. cit., 1, (٢٠٠).

أم حرام في أرض جزيرة قبرص ، وعرف قبرها منذئذ باسم « قبر المرأة الصالحة »<sup>(١)</sup> .

وبعد أن أنزل العرب عدتهم وعتادهم إلى الشاطئ أرسلوا إلى أهالي قبرص يخبرونهم بأهدافهم ، وهي أنهم لم يأتوا طمعاً في جزيرتهم ، وإنما ليتفقوا معهم على مافيه سلامة الشواطئ العربية على المياه الشرقية من البحر الأبيض المتوسط . غير أن سكان قبرص أبوا تحت ضغط الروم الدخول في مفاوضات مع العرب واعتصموا بأسوار مدينتهم . فتقدمت القوات العربية نحو العاصمة قنسطنطينا ( Constantina ) ، التي كانت خاصة بالسكان ، وبها جميع ثروات الجزيرة و ذخائرها . وبعد حصار قصير اقتحم العرب هذه المدينة واستولوا على كنوزها ، وأخذوا كثيراً من الأسرى . واضطر حاكم العاصمة ، أو أركانها إلى عقد صلح مع العرب<sup>(٢)</sup> ، دلت شروطه على العوامل الحقيقية التي دفعت العرب إلى بدء أسطولهم في البحر الأبيض المتوسط ، وجعل قبرص الهدف الأول لقوتهم البحرية الناشئة .

صالح أهالي قبرص العرب على أن يدفعوا لمعاوية جزية سنوية قدرها ٧٢٠٠ دينار ، على نحو ما يؤدونه كل عام كذلك لدولة الروم ، وتعهدوا أيضاً ألا يساعدوا الروم في إغاراتهم على أراضي الشام ، وألا يطلعوهم على أسرار تحركات الأسطول العربي . كما قبل أهل قبرص أن يزودوا العرب بأبناء أية حملة يعدها الروم ضد شواطئ الشام ومصر . وبذلك التزم أهالي قبرص بمقتضى أول إغارة لأسطول العرب ، بالوقوف على الحياد التام في النزاع بين العرب والروم على سيادة البحر الأبيض المتوسط . ذلك

أن العرب لم يلزموا أهل قبرص بتقديم أية مساعدة للأسطول العربي أثناء إغاراته على أرض الروم ، فكان المسلمون إذا ركبوا البحر لم يعرضوا لهم ، ولم ينصرهم أهل قبرص ، ولم ينتصروا عليهم<sup>(٣)</sup> .

وعاد بذلك الأسطول العربي مدوناً أول سطر في سجل النشاط البحري الطويل الذي خاضه في سبيل إعزاز العروبة والإسلام . ثم إن هذا النصر البحري الأول أعلا من روح العرب المغنوية وأزال ما اتصفت به أحاسيسهم من تهيّب لركوب المياه ، ذلك الخوف الذي سجله أحد العرب عن شجعه بعض أصحابه على ركوب السفن إذ قال :

فلله رأى قاذى لسفينته واخضر موّار السرار يبور  
ترى متته سهلاً إذا الرياح أفلعت وإن عصفت فالسهل منه وعور  
فيا ابن بلال للضلال دعوتى وما كان مثلى في الضلال يسير<sup>(٤)</sup>

واضطلع الأسطول العربي بعد إغاراته الأولى بمراقبة جزيرة قبرص ، ليتأكد من صدق أهلها في الوفاء بالتزاماتهم ، وليحول دون الروم وبين اتخاذها قاعدة لهم . وفي سنة ٥٣٢ / ٦٥٣ م أدخل أهل قبرص فعلاً بشروط الصلح ، وأمدوا الروم بسفن ساعدتهم على مهاجمة الشواطئ العربية بالشام . فصمم معاوية على استخدام أسطوله مرة أخرى ليحرم الروم نهائياً استغلال جزيرة قبرص وأهلها . وكان الأسطول العربي الذي خرج في العام التالي لفتح قبرص سنة ٥٣٣ / ٦٥٤ م ، يتكون من خمسمائة سفينة وعدد كبير من الجند . واستطاع الأسطول العربي الاستيلاء على الجزيرة عنوة ،

(١) البلاذري ، نفس المرجع ، ص ١٦٠ .

(٢) محمد كرد علي ، خطط الشام ، ج ٥ ، ص ٣٤ .

(١) البلاذري ، نفس المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٢) الطبري ، نفس المرجع ، ج ٥ ، ص ٥٦ ؛ البلاذري ، نفس المرجع ، ص ١٦٠ .



برغم المقاومة التي لاقاها ، ولقن أعداء العرب أول درس قاس جزاء إخلالهم بالشروط والمعاهدات<sup>(١)</sup> .

وصارت قبرص منذ ذلك الوقت قاعدة دائمة للأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط . إذ حرص معاوية على وضع قوات نظامية بها تدافع عن الجزيرة وتحمي ظهر الأسطول العربي بها . فكان يقيم في قبرص جيشاً يتكون من اثني عشر ألف رجل من الجنود النظامي ، وأجرت لهم الدولة الرواتب . ثم أتبع معاوية هذه الخطوة بنقل جماعة من أهل بعلبك إلى قبرص ، وأغرامهم على البقاء بها بمنحهم الرواتب ، حتى يقلل من أخطار الروم في مهاجمة الأسطول العربي فيها<sup>(٢)</sup> .

ويعزى تشدد معاوية في معاملة أهالي قبرص بعد هذه الحملة الثانية إلى رغبته في وضع حد نهائي لتقلب أهوائهم ، وتكرار مساعداتهم لأسطول الروم . وكان موقف أهل قبرص من نشاط العرب البحري مثار جدل وتشعب في الآراء بين قادة العرب ، ولا سيما نقضهم لشروط الصلح ، فقال أحدهم في مناقشته : « ما وقي لنا أهل قبرص قط<sup>(٣)</sup> » ، وأشار آخر بإزالة أشد العقوبات عنهم مستشهداً ببعض السوابق على عهد الرسول ، قائلاً : « إنه من نقض عهداً فلا ذمة له<sup>(٤)</sup> » .

غير أن معاوية أثر ألا يأخذ بتلك الآراء العنيفة ، ووجد في احتلال قبرص سبباً لتدعيم الأسطول العربي ، وتجنيب أهل قبرص الضغط الشديد

(١) البلاذري ، نفس المرجع ، ص ١٦٠ .

(٢) البلاذري ، نفس المرجع ، ص ١٦٠ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ١٦٤ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

الذي تعرضوا له من قبل الروم . وساعد معاوية على تلك تنفيذ السياسة الرحمة ما قاله نقر آخر من رجال العرب ، إن : « أهل قبرص أذلاء مقهورون ، يغلبهم الروم على أنفسهم ونسائهم ، فقد يحق علينا أن نمنعهم ونحميهم<sup>(١)</sup> » .

ولذا جاء احتلال الأسطول العربي لجزيرة قبرص حلاً لمشكلة حماية الشواطئ العربية بالشام ومصر ، وقضاء على المخاوف التي ساورت العرب عن قوة الروم البحرية . إذ صارت تلك الجزيرة الهامة قاعدة من قواعد الأسطول العربي ، تنطلق منها السفن العربية لصد سفن الروم قبل أن تهجم على شواطئ الشام ومصر ، وتجنب الحاميات المقيمة على تلك الشواطئ أخطار الهجمات المفاجئة .

وفي نفس الوقت أكسبت حملة قبرص العرب تجارب بحرية واسعة ، وجعلتهم يتطلعون إلى سائر الجزر الأخرى القريبة من شواطئهم . وبذلك صار العرب قوة يخشى بأسها الروم ، ويرهبون الأسطول العربي القوي ، الذي أخذ ينطلق نحو السيادة والمجد .

(١) البلاذري ، نفس المرجع ، ص ١٦٣ .

## الاستيلاء على جزر الروم

في شرق البحر الأبيض المتوسط

كانت الإغارة التي شنها الأسطول العربي على قبرص بداية نشاط بحري عربي اتسم بضابع الإغارات صيفاً وشتاءً على جزر الروم ، التي يخشى العرب خطرها ، أو التي قد ينبعث منها أذى يصيب شواطئ الشام ومصر . وأثبت العرب في تلك المرحلة المبكرة من تاريخهم البحري فهماً جيداً لطبيعة الجزر التابعة للروم في شرق البحر الأبيض المتوسط ، إذ رأوا ضرورة الاستيلاء عليها لما تتمتع به من مركز استراتيجية هامة ، ولشل حركات الروم البحرية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً .

وأناحت هذه السياسة البحرية للأسطول العربي ميداناً واسعاً ، ذلك أن الجزر تنتشر في الشطر الشرقي من البحر الأبيض المتوسط بحيث تقسمه إلى بحار داخلية صغيرة ، يتصل بعضها ببعض عن طريق مضائق وفتحات صغيرة تتحكم في مداخلها أطراف تلك الجزر . وغدت هذه المضائق أشبه بعنق الرجاجة . تسكفل للسيطر عليها تمام السيادة على ما يليها من بحار داخلية ، وما نزل على هذه البحار من أرض وبلاد<sup>(١)</sup> . ومن ثم سارت حركات الأسطول العربي إزاء تلك الجزر وفق خطوات منظمة مرسومة ، تهدف إلى تأمين سلامة الفتوحات العربية من الجزر القريبة والمباشرة لأراضيها . الاستيلاء على غيرها من الجزر التي تتحكم في أكبر عدد من المضائق البحرية لسد الطريق في وجه أساطيل الروم . وأظهر

أمراء البحار العرب في سبيل تنفيذ تلك الأهداف من المهارة والجلد ما رفعهم إلى مصاف كبار رجال البحار الذين عرفهم التاريخ .

ومن ذلك أنه استرعى نظر قادة العرب أثناء إغارتهم على قبرص وقوع جزيرة تدعى أرواد<sup>(٢)</sup> بالقرب من ساحل الشام بين مدينتي جبلة وطرابلس . ولم يكن أول داع للأسطول العربي ، وهو معاوية ، بالشخص الذي يتهاون في ترك أي معقل للروم يهدد سلامة بلاده ، أو يدعه شوكة في جانب ولايته . فكانت جزيرة أرواد تتمتع بشهرة عالية منذ أقدم العصور ، رغم ما بدت عليه من ضآلة الشأن في تلك الفترة الأولى من نشاط الأسطول العربي في مياه البحر الأبيض المتوسط . فقد لاحظ استرابون الجغرافي القديم<sup>(٣)</sup> ، أن أهل أرواد يحترفون القرصنة على النقيض من سائر البلاد القرية منهم ، والتي اتخذت لنفسها الطريق القويمة في الاشتغال بالتجارة لتدعيم رخائها الاقتصادي . فكان أهالي جزيرة أرواد يستغلون ماحبتهم به الطبيعة من مركز جغرافي ممتاز في ميدان التجارة ، وأبدوا جشعاً في تنمية مواردهم الاقتصادية عن طريق ميدان القرصنة الخفيف . وقد جعلتهم هذه الأمور أهلاً يتسمون بالغدر ، وبالبعد عن مواضع الثقة والتقدير .

وعقد معاوية العزم على التخلص من مخاوفه من تلك الجزيرة بالاستيلاء عليها فأعد الأسطول العربي لمهاجمتها سنة ٢٨ هـ ، أي في العام التالي لعودته من الإغارة على جزيرة قبرص في المرة الأولى . واستطاع الأسطول العربي

(١) تختلف هذه الجزيرة عن جزيرة أرواد التي تقع بالقرب من القسطنطينية ، والتي عرفت باسم كزيكوس (Cyzicus) في المراجع الأوروبية .

(٢) استرابون جغرافي يوناني ، زار مدن الشرق سنة ٢٥ ق . م ، وعرف بدقة الملاحظة والاعتداد على استحداث الرسمية في البلاد لجمع المعلومات .

السيطرة على شواطئ تلك الجزيرة، وإنزال الجند العرب بها. ولكن أهل أرواد رفضوا الإذعان والتسليم، واعتصموا بقلعة الجزيرة على الرغم من وساطة أحد الأساقفة ويدعى ثوماريخوس (Thomarichos)، الذي رأى أن يبصر سكان هذه الجزيرة بمغبة الإصرار والعناد.

وكانت خطة العرب البحرية تسير على أساس مسالمة أهالي جزر البحر الأبيض المتوسط أولاً، فإن أبوا فالقتال حتى النصر. ولذا عاد الأسطول العربي على أن يهجم على أرواد مرة ثانية في العام التالي<sup>(١)</sup>. وفي سنة ٥٢٩ هجم الأسطول العربي على جزيرة أرواد، وعلى مته قوة عظيمة من الجند. واستطاع العرب بذلك الاستيلاء على هذا المعقل الخطر، وألزموا جميع أهالي أرواد بإخلاء جزيرتهم تماماً جزاء لهم على عنادهم<sup>(٢)</sup>. ولم يكن هذا التصرف العربي قاسياً، وإنما جاء وليد بعد نظرهم وفهمهم لطبيعة أهالي تلك الجزيرة، التي اتسمت بالغدر.

وهكذا لم يقيم الأسطول العربي بنشاطه البحري المبكر عفواً، أو نتيجة خطط مرحلية، وإنما سار العرب في أعمالهم البحرية وفق سياسة واضحة المعالم تهدف أولاً إلى حماية ممتلكاتهم، ثم إقصاء الروم عن أى مكان تتجمع فيه أساطيلهم لمهاجمة أرض العروبة. وكانت آية هذا التفكير العربي السديد هو اتجاه الأسطول العربي للهجوم على جزيرة صقلية، إذ يبدو أن هذه الجزيرة بعينها كل البعد عن أن تكون موضع خطر مباشر على إقليم الشام ومصر. ولكن مجريات الأحداث دلت على أن صقلية غدت قاعدة لأساطيل الروم التي انسحبت من قواعدها بالشام ومصر بعد الفتح العربي

لحما، ومركزاً تهجم منه على العرب بحيث تشل التعاون البحري بين أساطيلهم في مصر والشام.

وكانت صقلية بحكم موقعها الجغرافي تتحكم في المداخل الرئيسية الكبرى للبحر الأبيض المتوسط الشرقي، إذ هي تقسم البحر الأبيض المتوسط عامة إلى قسمين رئيسيين، وتشرّف على الاتصال بينهما عن طريق مضيق ميسينا، ومضيق صقلية الواقع بين طرف جزيرة صقلية الجنوبي وشمال أفريقيا<sup>(١)</sup>. ثم إن جزيرة صقلية استمدت من كل بلاد الروم البعيدة عن متناول الأسطول العربي مساعدات جعلتها أعظم قاعدة لأسطول الروم في شرق البحر الأبيض المتوسط.

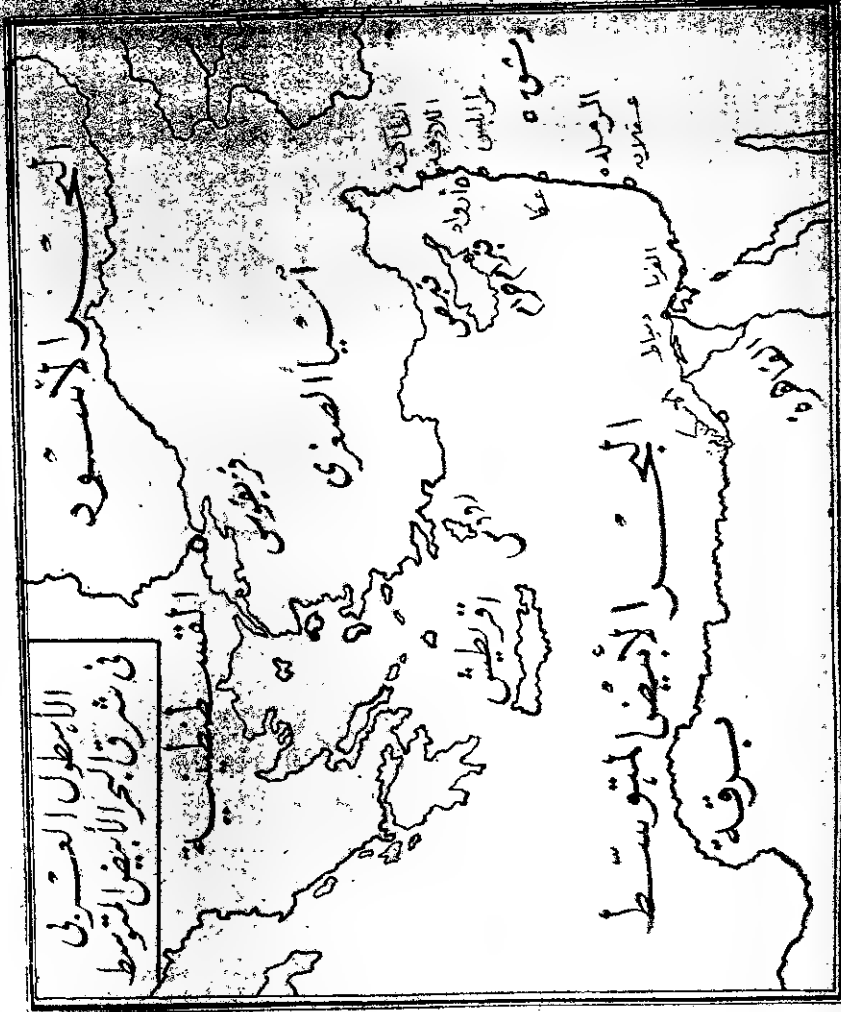
وكانت مصر أول من أدرك خطورة اتخاذ أساطيل الروم قاعدة لها في صقلية. ومن ثم تكاتف الأسطول العربي المصري والشامي في الهجوم على تلك الجزيرة لتقليم أظافر الروم وبث الرعب في نفوسهم. وقام الأسطول العربي من موانئ الشام توازره القوات البحرية العربية المصرية سنة ٦٥٢/٥٣٢ م، وذلك لمهاجمة صقلية. ونزلت الحملة البحرية بالشام والساحل ومعا المجانيق والعرادات، وأعملت للتدمير في حصون الجزيرة الساحلية. وكانت القوة التي يحملها الأسطول العربي تستهدف تلقين الروم درساً رابحاً أن يد البحري العربية الناشئة قادرة على أن تبطش بهم في أى مكان. كما تكف لهم بالمرصاد. فهجمت القوات العربية على معاقل الروم في صقلية، وأجالت حامياتها على الانسحاب داخل الجزيرة. ثم أتبع العرب انصرافهم لإغارة ليلا على القرى والمدن القريبة من الساحل، وعادوا أخيراً مظفرين

إلى الشام<sup>(١)</sup>. وكان قائد هذه الحملة البحرية العربية معاوية بن حديج الكندي الذي اشتهر بجرأته وشجاعته .

وقد توالى إغارات الأسطول العربي بعد ذلك على جزيرة صقلية حيث خرجت وحداته تارة من الشام وتارة من مصر ، حتى صار مركز أسطول الروم ضعيفاً ، ولا تقوى سفنه على صد الأسطول العربي واشتهر من أمراء البحار العرب الذين أغاروا على صقلية في تلك الفترة المبكرة من نشاط العرب البحري عبد الله بن قيس الدرقى ، الذى أخذ من تلك الجزيرة عدداً كبيراً من أصنامها الذهبية والفضية<sup>(٢)</sup> .

وسار الأسطول العربى بعد ذلك من مصر إلى نصر ، إذ انقلب من سياسة الدفاع إلى سياسة الهجوم ، ورفع لواء العروبة خفاقاً على مياه البحر الأبيض المتوسط . فاتجه الأسطول العربى سطر روس ؛ أهم جزر بحر إيجه وأعلاها مكانة في بحرية الروم . سبب سناعه سفن بها . وتعتبر تلك الجزيرة أول حلقة في سلسلة أرخبيل بحر إيجه من ناحية الشرق ، وتمتد من الجنوب الغربى إلى شمال الشرق على بعد اثني عشر ميلاً تقريباً من ساحل آسيا الصغرى<sup>(٣)</sup> . وبذلك أهلها هذا الموقع لأن تكون خطراً جاثماً على أطراف الشام الشمالية المتاخمة لحدود الروم بآسيا الصغرى .

وفي سنة ٦٣٣ هـ ٦٥٤ م سار الأسطول العربى من موانئ الشام تحت قيادة جنادة بن أمية الأزدي لفتح ردوس<sup>(٤)</sup> . واستطاع أمير البحر الأموى



(١) Vasiliev, Byzance et les Arabes, 62.

(٢) البلاذرى ، فقه المرجع ، ص ٢٤٤ .

(٣) Encyc. of Islam (art Rhodes)

(٤) Lammens, La Syrie, 65.



أن يستولى على تلك الجزيرة عنوة ، والتي وصفها المراجع العربية بأنها  
منطقة في البحر ... من أخصب الجزائر ، وهي نحو ستين ميلا ، فيها الزيتون  
والكروم والثمار والمياه العذبة (١) . واهتم العرب بتدعيم تلك القاعدة  
البحرية الجديدة في ردوس ، فبنوا بها حصناً منيعاً ، وجددوا أفراد الحامية  
العربية بها من حين إلى آخر ، حتى تبقى قوتهم وروحهم المعنوية عاليتين .

ووصل نشاط الأسطول العربي كذلك إلى جزيرة كريت أو إقريطش  
كما سماها بذلك العرب . وكان قائد الأسطول العربي الذي هاجم تلك الجزيرة  
هو جنادة ابن أمية الأزدي ، الذي سبق له فتح ردوس . على أن جزيرة  
كريت كانت من الضخامة بحيث يصعب على البحرية العربية الاستيلاء عليها  
في تلك الفترة المبكرة من تاريخها الحربي . ولذا اكتفى جنادة بن أمية  
بما أصابه من فوز في إغاراته وعاد بأسطوله إلى الشام (٢) .

وأظهر العرب بذلك مقدرة بحرية فائقة جعلت جزر البحر الأبيض  
المتوسط الشرقي تحت رحمة أسطولهم القوي . على أن تلك الإغارات البحرية  
أفادت العرب ميداناً تدرّبوا فيه تدريجاً واسعاً ، ساعدهم على الفوز في أعظم  
موقعة بحرية عرفها تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصور الوسطى .

(١) البلاذري ، نفس المرجع ، ص ٢٤٤ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

## وقعة ذات الصواني

٥٣٤ - ٦٥٥ م

أو تقرير مصير البحر الأبيض المتوسط

كانت سلسلة الانتصارات البحرية الأولى التي أحرزها الأسطول العربي سبباً في قيام معركة فاصلة بين العرب والروم تقرر فيها مصير البحر الأبيض المتوسط . وكانت دولة الروم هي البائدة بالعدوان ، بسبب رغبة الامبراطور قنسطانز الثاني في القضاء على قوة العرب البحرية في صدر حياتها .

وكان الإمبراطور قنسطانز الثاني يؤمن بأن المقادير قد ادخرته لإنقاذ دولته من ضعفها ، ودفع خطر الأسطول العربي عنها . ذلك أنه جاء إلى العرش عقب فترة قاسية ، فقدت فيها دولة الروم أغنى أقاليمها في الشام ومصر ، وأعظم جزرها في قبرص وروُدس ، كما وقع أفراد البيت المالكي في القسطنطينية نهياً للأحقاد والمؤامرات .

وقد ترف قنسطانز في تلك الفترة القاسية التي سادت دولة الروم عقب وفاة جده هرقل ، وشارك في مؤامراتها ودسائسها ، حتى استطاع أخيراً أن ينفرد بالعرش سنة ٦٤٣ م<sup>(١)</sup> . وقد خلقت منه تلك الحياة رجلاً نشطاً يقظاً محباً للاعتماد على نفسه . فبادر قنسطانز بإعداد الوسائل التي تمكنه من المحافظة على وحدة بلاده والقضاء على طلائع البحرية العربية التي هجمت على دياره .

وكان قنسطانز الأسطول إلى بحارته الأسطول البحري إقلا تدعم قوة الروم البحرية . وبعث ماء الحياه في مواضع بلاد البحر التي كانت دولة الروم تعتمد على إقليم آسيا الصغرى في الحصول على السفن والخشب فضلاً عن حيرة أمراء البحار . ومن ثم اتجه قنسطانز إلى هذا الإقليم القليل على القن والقلاقل التي سادته . ذلك أن إقليم آسيا الصغرى كان يحيط بأنظار الفارين على سلطات الروم وملاد الطامحين إلى السلطان . واستطاع قنسطانز الثاني أن يعيد الظمأنينة إلى تلك البلاد بعد أن أطاح فيها بالمشاعين من محبي الفتن<sup>(٢)</sup> ، وضمن لأسطوله مورده التقليدي من السفن والرجال .

وكذلك عمد قنسطانز إلى تدعيم قوته البحرية في شرق البحر الأبيض المتوسط بالمحافظة على البقية الباقية من قواعد أسطولة البحري هناك . وكانت جماعات السلاف القاطنة في بلاد اليونان قد أغارت على سواحل بحر إيجه ، ونشرت الاضطراب بين سكانها . ولكن قنسطانز استطاع التغلب عليها ، وإعادتها إلى التبعية والطاعة لسلطانه<sup>(٣)</sup> . وبذلك ضمن قنسطانز الثاني خلق تعاون بحري بين آسيا الصغرى وبلاد اليونان ، وأعاد بناء أسطول قوى عمد إلى اتخاذ سيلا لطرده العرب من ميناء البحر الأبيض المتوسط ، واسترداد سيادة الروم على ذلك البحر .

وعمل قنسطانز باستخدام أسطوله حين ترامت إليه في سنة ٦٥٥ م أنباء استعدادات بحرية هائلة يعدها معاوية بن أبي سفيان وإلى الشام إذ ذاك ، لضرب القسطنطينية نفسها عاصمة الروم . وجهد قنسطانز على أن يتلافى هذا الخطر العربي المقبل على عاصمته قبل اقترابه منها ، وعول على الخروج قاصداً

(١) Bury, op cit, 387.

ibid 292.

(٢)

(١) Bury, op cit, II, 281, 287

الشام ليدحر الأساطيل العربية هناك قبل إبحارها من قواعدها .

وفي الفترة التي أسرع فيها قنسطان بإعداد أسطوله ، نشط وكلاء الروم بالشام لعزلة استعدادات العرب البحرية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . وكان معاوية قد حشد معداته البحرية في مدينة طرابلس الشام استعداداً لقيام الحملة البحرية . ولكن شخصين مسيحيين من مدينة طرابلس من عملاء الروم أسرعوا إلى سجن المدينة ، وكان به عدد كبير من أسرى الروم ، وفتحوا أبوابه وأطلقوا سراحهم . وتابع العميلان ومعهم أسرى الروم عملهم بمهاجمة دار الحاكم العربي بطرابلس وقتله هو وأتباعه ، ثم أحرقوا العدد والعتاد التي بذل معاوية في جمعها كثيراً من الجهد والعناء ، ثم فروا جميعاً إلى آسيا الصغرى (١) .

وإذا كان وكلاء الروم قد نجحوا في تنفيذ خطتهم بطرابلس ، فإن الأسطول العربي ظل سليماً ، لم يمسسه شيء . وبذلك أعاد معاوية حشد قواته ، على حين وصلت سفن من مصر إلى سواحل الشام ، وخرج الأسطول العربي المصري الشامي قاصداً القسطنطينية . وعندما وصل الأسطول العربي إلى ساحل ليكيا بآسيا الصغرى التي مر ساءه عند فوينكس Phoenix ، حيث بلغه نبأ اقتراب أسطول الروم ، على رأسه الإمبراطور قنسطان نفسه (٢) .

ودلت استعدادات أسطول الروم على أن قنسطان قد صمم على وضع حد لنشاط البحرية العربية وكسر شوكتها نهائياً ، على حين دلت الجهود التي تبذلها العربية على أن الأسطول العربي صار حقيقة واقعة ، ليس من السهل النيل

منه ، فضلاً عن أن التعاون البحري بين الشام ومصر قد بلغ أوجه في تلك الفترة المبكرة من نشاط العرب البحري . فقد خرج على رأس أساطيل مصر واليهام نفسه عبد الله بن أبي سرح ، الذي خلد اسم مصر في خدمة العرب من أجل نيل أعظم المعارك البحرية الفاصلة في تاريخ البحر الأبيض المتوسط .

وكان قنسطان قد خرج في جمع لم يجتمع للروم مثله منذ كان الإسلام (١) ، على حد قول المراجع العربية . فكان أسطوله يتألف من خمسمائة سفينة ، مزودة بآلات الحرب ، راع العرب منظرها ، ولا سيما الذين سبق لهم أن اشتبكوا مع الروم في معارك بحرية . ووصف أحد المشتركين في الحملة العربية شعوره حين تقابل الأسطول العربي مع أسطول الروم قائلاً : « فالتقينا في البحر ، فنظرنا إلى مرآكب ما رأينا مثلاً قط (٢) » . وكانت الرياح غير ملائمة حين التقى الجمعان في البحر ، ففضى العرب والروم ليلتهما انتظاراً لما يسفر عنه الصباح ، وأخذوا يستعدان فيها ، ويعملان على تقوية روحهما المعنوية . فبات العرب ليلتهم يصلون ويدعون الله ، على حين فضى الروم ليلتهم بضربون بالنواويس (٣) . وفي صبيحة اليوم التالي دارت المعركة ، واشترك فيها الإمبراطور قنسطان نفسه ، حيث أخذ يصدر من سفينته تعليمات لقتال العرب ، ويتابع منها الأبناء بانتظام عن سير المعركة . بدأ العرب القتال باستخدام الأقواس والسهم ، فأدرك قنسطان نفوق جنده عليهم ، لأن المسلمين يجيدون هذا السلاح في الحروب البرية والبحرية .

(١) الطبري ، نفس المرجع ، ج ٥ ، ص ٦٩ .

(٢) الطبري ، نفس المرجع ، ج ٥ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(٣) الطبري ، نفس المرجع ، ج ٥ ، ص ٧٠ .

(١) Finlay, History of Greece I, 377; Bury, op. cit., II, 290.

(٢) Bury, op. cit., 290.

أن الملك الآن بحري ، وليس برياً ، وأن ذخيرتهم سوف تنفذ سريعاً .  
فحينئذ رأى قنسطان ، إذ اضطرب العرب إلى استبدال الأقواس والرمح  
التي نفذت بالحجارة ، وقذف العدو بها . وهنا أيقن قنسطان مرة أخرى أن  
الفرح خلف أسطوله .

حينئذ أن العرب حين رأوا نفاذ ذخيرتهم من الحجارة كذلك ، وأن العدو  
ما زال يصد عن تناول سفنهم ، وأنه يراوغ ويماطل لإنهالك قوامه ، ربطوا  
سفنهم بعضها إلى بعض وقذفوا خطاطيف في البحر ، جذبوا بها سفن الروم  
إلهم . ثم اتخذوا من ظهور السفن المتلاحمة ميادين قتال أشبه بميادين البر  
وحين وصلت أنباء تلك الخطة الجديدة إلى الإمبراطور قنسطان أدرك فشل  
خيلته ، وأن الهزيمة لاشك بحقيقة بجنده (١) .

وتحقق استنتاج قنسطان ، إذ وثب العرب على الروم بالسيوف  
والخنجر ، وأعملوا فيهم القتل ، واشتد الصراع وكثر القتل ، حتى وصف  
شاهد عيان هذه المعركة قائلاً : رجعت الدماء إلى الساحل تضربها  
الأمواج ، وطرحت الأمواج جثث الرجال ركاًما (٢) . وقد أبدى الفريقان  
المتحاربان من صنوف التفاني في الواجب ومن ضروب الشجاعة ما سجلته  
مراجع العرب والروم على السواء .

ومن ذلك أن العرب نسوا في غمرة الحرب مخاوفهم ، واستماتوا في الدفاع  
عن سفينة القيادة التي أقلت والى مصر عبد الله بن أبي سرح . فقد عمد  
الإمبراطور قنسطان حين علم بخطة العرب الجديدة إلى نشر الفوضى

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، ص ١٦٠ .

Kremer, Orient under the Caliphs 354.

(٢) الطبري ، نفس المرجع ، ج ٥ ، ص ٧٠ .

في مخوفهم بالقضاء على سفينة القيادة عديم . فأمر جندهم بقذف خطاف  
على سفينة أمير البحر العربي عبد الله بن أبي سرح ، فالتفت الروم يحذرون  
الركب العربي إليهم .

وكاد الروم ينجحون في أسر مركب القيادة العربي إن لا شجاعة أحد  
الجنود العرب ويدعي علفته ، إذ رمى هذا الجندي نفسه على السلاسل التي  
كانت تجذب سفينة القيادة العربية ، وأخذ يعمل بها القطع . رغم ما تعرض  
لله من ضربات العدو وسهامه . وكل عمل علفته النجاة . إذ قطع السلسلة  
أفقد سفينة القيادة العربية من الموقف في الأسر .

ونال هذا الجندي العربي ثناء زوجة أمير البحر التي تسمى بثينة . حيث  
كانت على ظهر السفينة أثناء القتال . وقد شامت الأقانيف فيما بعد أن يظهر  
ذلك الجندي بزواجه من بثينة بعد وفاة زوجها (١) .

وأظهر الروم في تلك المعركة تفانياً في الدفاع عن سفينة قيادتهم حين  
دارت عليهم الدائرة ، إذ بعد نجاح العرب في إنقاذ سفينة قيادتهم هجموا على  
الروم بشدة واقتحموا السفينة المقيم عليها الإمبراطور ، وأعملوا القتل  
في جندهما ، وكاد الإمبراطور نفسه يقع في قبضة العرب ، لولا أنه تنكر  
باستبدال زيه مع ملابس ابن أحد ضاربي الطبول على سفينته ، وهرب من  
المعركة على ظهر مركب آخر ، فرّ به إلى صقلية (٢) .

وبفرار الإمبراطور قضى العرب على تلك (الآرمادا) التي أعدها الروم ،  
وخرجوا ظافرين من معركة حامية الوطيس . وتعتبر تلك الواقعة البحرية

Kremer, op cit, 358. (١)

Bury, op cit, 290, 291 (٢)



التي عرفت بوقعة « ذات الصواري » ، في المراجع العريضة بسبب كثرة صواري السفن المشتركة في القتال ، من المعارك البحرية الحاسمة التي عرفت مجرى تاريخ البحر الأبيض المتوسط ، إذ تقف وقعة ذات الصواري على قدم المساواة مع معركة أكتيوم<sup>(١)</sup> (سنة ٣١ ق م) في التاريخ القديم لهذا البحر ، ومعركة النيل (أو أبي قير سنة ١٧٩٨ م)<sup>(٢)</sup> في العصر الحديث . فكما أن معركة أكتيوم جعلت من البحر الأبيض المتوسط بحيرة رومانية حتى آلت سيادته إلى الروم ، وكما أن معركة النيل رسمت الخريطة السياسية التي نراها في عصرنا الحاضر للبحر الأبيض المتوسط ، فإن معركة ذات الصواري قضت على اتصاف البحر الأبيض المتوسط بأنه « بحر الروم » وصار للأسطول العربي فيه الكلمة العليا .

وتجلت أولى النتائج الهامة التي ترتبت على انتصار الأسطول العربي في تلك الوقعة الفاصلة في تدعيم سيادة العرب على الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط . إذ أدرك الإمبراطور قنسطانز ومن جاء بعده من الأباطرة أن الأسطول العربي صار قوة عظيمة في البحر الأبيض المتوسط ،

(١) أكتيوم أهم قديم لاخدي الرووس الأرضية الممتدة من شمال اليونان في البحر الأبيض المتوسط . واضهرت هذه القعة لأنه دار بالقرب من مياهها معركة بحرية هامة سنة ٣١ ق م بين الأساطيل الطالفة لحكام مصر ، والقائد الروماني أوكتافيوس . ويرجع أهمية هذه المعركة إلى أنها جلبت النصر الروماني ، وقضت على البطالة الذين كانوا آخر قوة تنافس الرومان على سيادة البحر الأبيض المتوسط . إذ تلا سقوط مصر في أيدي الرومان تحويل البحر الأبيض المتوسط إلى بحيرة رومانية . وبقيت سيادة الرومان وخلفائهم الروم أي البيزنطيين على هذا البحر حتى وقعة ذات الصواري .

(٢) وقعت معركة النيل في سنة ١٧٩٨ م عندما فاجأ أسطول أمير البحر البريطاني الأسطول المصري في مياه البحر الأبيض المتوسط . وكانت نتيجة المعركة انتصار كبير في مضائق الشرق الأوسط والبحر المتوسط . إذ أدركت القوات البحرية المصرية حالة نابليون على مصر وفتحت باب التمرد البريطاني في البحر الأبيض المتوسط .

وأن دولة الروم بذلك لن تستطيع إخراج العرب من الديار التي حلوا فيها على شواطئ هذا البحر . فطلق أسطورة الروم فكرة استرداد البلاد التي كانت تابعة لهم من يد العرب ، وفضلوا الاعتراف بالآمر الواقع .

ويضيف إلى أهمية انتصار الأسطول العربي في وقعة « ذات الصواري » أن العرب دخلوا بعد هذا الانتصار البحري في دور من النزاع الداخلي بسبب مقتل عثمان ، وتطور هذا النزاع إلى نشوب حرب أهلية بين علي ومعاوية ، وقف فيها نشاط الأسطول العربي . فكانت هذه الاضطرابات فرصة سانحة يستطيع الروم فيها إيقاع أشد الأضرار بالعرب لو أنهم لم يتخلوا تماما عن فكرة استعادة أملاكهم في الشام ومصر .

وبذلك يعتبر الأسطول العربي هو حجر الزاوية في صرح مجد أمه العرب على شواطئ البحر الأبيض المتوسط ، إذ أتاح للعرب فرصة الاستقرار في أهم بقعة شأهدت ميلاد وترعرع الحضارات القديمة ، وتعمل تلك الحضارات في هدوء وطمأنينة ، ثم أخرج العرب بعد ذلك حضارتهم الزاهرة التي تبوأ مكاتها في تاريخ البحر الأبيض المتوسط ، مسهمة بصيب كبير في خدمة ميدان البحار وركوبها .

وكان الأسطول العربي هو صاحب الفضل في إعلاء كلمة أمه العرب الناشئة ونشر ثمار حضارتها في شتى أرجاء البحر الأبيض المتوسط . وبحيث آتت المجد العربي الذي حمله ذلك الأسطول في الحملات البحرية بتألق عظمى العرب على القسطنطينية نفسها ، عاصمة الروم ، ومنافسهم على سيادة البحر الأبيض المتوسط .

## الفصل الثالث

### الأسطول العربي

في حصار القسطنطينية

### عهد التوسع البحري

يعتبر اتجاه الأسطول العربي إلى مياه القسطنطينية ، واشتراكه مع القوات العربية زمن الأمويين في حصار القسطنطينية ، بداية مرحلة جديدة تحمل طابع التوسع البحري . ذلك أن أعمال الأسطول العربي السالفة من فتح قبرص ورودس أو وقعة ذات الصواري تعتبر جزءاً من سياسة العرب الدفاعية وتأمين سلامة شواطئهم على البحر الأبيض المتوسط . غير أن وقعة ذات الصواري جعلت العرب يدركون أنهم قد أصبحوا قوة بحرية لها خطرهما في البحر الأبيض المتوسط ، وأن الموقف الجديد أصبح يحتم عليهم الفصل في سيادة ذلك البحر ، وانزاعه نهائياً من قبضة الروم .

وكان معاوية هو صاحب الفضل مرة أخرى في دفع العرب نحو التوسع البحري ، فبدأ حاكمه في سبيل بناء أسطول عربي في البحر الأبيض المتوسط فإنه عمد إلى دفع العرب إلى الاستيلاء على القسطنطينية عاصمة الروم نفسها . ولم يكن بمعاونة بالشخص الذي يرتجل أعماله ، وإنما يقدم على مشاريعه عن روية وتبحر . فبدأ يستتب له الأمر بعد النزاع الداخلي الذي

شب بينه وبين علي بن أبي طالب ، وما كاد يصبح خليفة للدولة الأموية ، حتى أخذ يعد الأسطول العربي لمساعدة قرائه العرب في الاستيلاء على القسطنطينية .

وجاءت سياسة معاوية البحرية الجديدة عنواناً على فهمه التام لأوضاع البحر الأبيض المتوسط ، إذ أدرك بثاقب نظر أن القسطنطينية عصب بحر البحر الأبيض الشرقي ، تغذيها بالقوات والامداد وتنتج أهلها على شن الإغارات على سواحل العرب بالشام ومصر وتؤدي هذا الاتجاه عند معاوية حملاته المتكررة على جزيرة قبرص ودلت الروم على اتخاذ تلك الجزيرة شوكة تخر في جنب البلاد العربية المظلة على البحر الأبيض المتوسط .

واستل معاوية سياسته البحرية التوسعية بتقوية الثغور البحرية في كل من الشام ومصر ، وشحنها بالجند المدربين على ركوب البحر . ثم بث النشاط في دور الصناعة بكل من مصر والشام كذلك لإنتاج السفن الحربية وغيرها من المراكب الخاصة بنقل المؤن والعتاد . وفي نفس الوقت أعد معاوية قوات البرية التي خصصت للتعاون مع القوات البحرية العربية في الهجوم على القسطنطينية .

وتعتبر حملات العرب على القسطنطينية حجر الزاوية في بناء سياسة بحرية جديدة لم يعرفها التاريخ على نطاق واسع إلا في الحرب العالمية الأخيرة ، وقوامها خلق تعاون قوى وتنسيق تام بين القوات البرية والبحرية في الهجوم والغزو . ويرجع السبب في اتخاذ العرب تلك السياسة الجديدة إلى إغارات سكان جبل اللكام ( Amanus ) القريين من حدود آسيا الصغرى التابعة للروم على أراضي الشام .

وكانت طبيعة جبل اللكام تساعد سكانه - وهم الذين أطلق عليهم العرب اسم المردة<sup>(١)</sup>، بسبب خروجهم دائماً على النظام وتمردهم - على تنفيذ خططهم العدوانية دون أن ينالهم ضرر أو أذى، إذ أغاروا من موطنهم بجبل اللكام على سلسلة جبال لبنان، وإفادة أنفسهم من موقعها الجغرافي وخطوها من المحارس. جبال لبنان تمتد من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى، وتنقسم إقليم الشام قسمين، أحدهما يطل على البحر ويضم الأقاليم الساحلية، والآخر الأقاليم الداخلية البرية. وكانت أقاليم الشام الداخلية تعتمد في حياتها على المدن الساحلية، وتتصل بها عبر ممرات هامة في هذه السلسلة الجبلية، ولذا هدف الروم باتخاذ المردة عضداً لهم، ودفعهم إلى الإغارة على جبال لبنان سبيلاً لشل التعاون بين أساطيل المسلمين في القواعد البحرية وبين الجنود البرية في الداخل.

وظهر تعاون المردة مع الروم في تعطيل جهود المسلمين البحرية سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٦ م. أي قبل عامين من قيام أول حملة عربية برية وبحرية ضد القسطنطينية. إذ حين ترامت إلى سلطات الروم أنباء استعدادات معاوية للهجوم على القسطنطينية، اندفع المردة مع قوات من الروم عبر جبال لبنان لإحداث اضطرابات في صفوف الحملة المنظمة. ولكن المردة لم يلبسوا إلى قواعدهم حين علم معاوية بوقوعه القضاء عليهم، وانسحبوا إلى أساطيلهم<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم على الرغم من أن المردة لم ينجحوا في شناسة العرب البحرية، إلا أنهم كانوا ضرورية للمسلمين لتعاونهم مع قواتهم البرية والبحرية، حتى يتجنبوا

عنصر المفاجأة، ولا سيما وأنهم على أهبة توسع بحرى عظيم. فوضع معاوية جماعة من خيرة جند العرب في مراكز حربية على امتداد جبال لبنان استطاعت أن تحمي ظهر القوات البرية والبحرية في نفس الوقت في إقليم الشام<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٤٩٠ هـ / ١٠٩٨ م أرسل معاوية حملة استطلاعية برية وبحرية لدراسة الطرق المؤدية إلى القسطنطينية<sup>(٤)</sup>. وفي العام التالى أعد معاوية مدداً آخر لشد أزر القوات البرية والبحرية التي خرجت للهجوم على القسطنطينية في العام السالف، ووضع على رأسها ابنه وولى عهده يزيد. وبلغ من اهتمام معاوية بأمر هذه الحملة وإكسابها طابع الجهاد المقدس أن ضم إلى ابنه شخصية كبرى من أصحاب الرسول الكريم، ومن لعبت دوراً رئيسياً في مؤازرته ونصرة دعوته وهو أبو أيوب الأنصارى، الذى استقبل الرسول في بيته.

وعلى ضفاف البسفور نقلت السفن العربية تلك الأمداد التي حاصرت القسطنطينية. وقد أظهر الجند العرب في ذلك الحصار تفانياً عظيماً، جعل يزيد يلقب لشهامته باسم «فى العرب»، على حين توفي أبو أيوب الأنصارى وهو يحاصر القسطنطينية، ودفن بالقرب من أسوارها<sup>(٥)</sup>. ثم رفع العرب الحصار سنة ٦٦٩ م، بعد أن تبين لهم أن خير سبيل للاستيلاء على القسطنطينية هو إعداد أسطول قوى، يقف على قدم المساواة مع الأسطول الرومى.

(١) البلاذرى. فتوح البلدان، ص ١٦٩.

(٢) الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ١٣٠.

(٣) الطبرى، نفس المرجع، ج ٦، ص ١٣٠. ٤٤٣. ٤٤٤. ٤٤٥. ٤٤٦. ٤٤٧. ٤٤٨. ٤٤٩. ٤٥٠. ٤٥١. ٤٥٢. ٤٥٣. ٤٥٤. ٤٥٥. ٤٥٦. ٤٥٧. ٤٥٨. ٤٥٩. ٤٦٠. ٤٦١. ٤٦٢. ٤٦٣. ٤٦٤. ٤٦٥. ٤٦٦. ٤٦٧. ٤٦٨. ٤٦٩. ٤٧٠. ٤٧١. ٤٧٢. ٤٧٣. ٤٧٤. ٤٧٥. ٤٧٦. ٤٧٧. ٤٧٨. ٤٧٩. ٤٨٠. ٤٨١. ٤٨٢. ٤٨٣. ٤٨٤. ٤٨٥. ٤٨٦. ٤٨٧. ٤٨٨. ٤٨٩. ٤٩٠. ٤٩١. ٤٩٢. ٤٩٣. ٤٩٤. ٤٩٥. ٤٩٦. ٤٩٧. ٤٩٨. ٤٩٩. ٥٠٠. ٥٠١. ٥٠٢. ٥٠٣. ٥٠٤. ٥٠٥. ٥٠٦. ٥٠٧. ٥٠٨. ٥٠٩. ٥١٠. ٥١١. ٥١٢. ٥١٣. ٥١٤. ٥١٥. ٥١٦. ٥١٧. ٥١٨. ٥١٩. ٥٢٠. ٥٢١. ٥٢٢. ٥٢٣. ٥٢٤. ٥٢٥. ٥٢٦. ٥٢٧. ٥٢٨. ٥٢٩. ٥٣٠. ٥٣١. ٥٣٢. ٥٣٣. ٥٣٤. ٥٣٥. ٥٣٦. ٥٣٧. ٥٣٨. ٥٣٩. ٥٤٠. ٥٤١. ٥٤٢. ٥٤٣. ٥٤٤. ٥٤٥. ٥٤٦. ٥٤٧. ٥٤٨. ٥٤٩. ٥٥٠. ٥٥١. ٥٥٢. ٥٥٣. ٥٥٤. ٥٥٥. ٥٥٦. ٥٥٧. ٥٥٨. ٥٥٩. ٥٦٠. ٥٦١. ٥٦٢. ٥٦٣. ٥٦٤. ٥٦٥. ٥٦٦. ٥٦٧. ٥٦٨. ٥٦٩. ٥٧٠. ٥٧١. ٥٧٢. ٥٧٣. ٥٧٤. ٥٧٥. ٥٧٦. ٥٧٧. ٥٧٨. ٥٧٩. ٥٨٠. ٥٨١. ٥٨٢. ٥٨٣. ٥٨٤. ٥٨٥. ٥٨٦. ٥٨٧. ٥٨٨. ٥٨٩. ٥٩٠. ٥٩١. ٥٩٢. ٥٩٣. ٥٩٤. ٥٩٥. ٥٩٦. ٥٩٧. ٥٩٨. ٥٩٩. ٦٠٠. ٦٠١. ٦٠٢. ٦٠٣. ٦٠٤. ٦٠٥. ٦٠٦. ٦٠٧. ٦٠٨. ٦٠٩. ٦١٠. ٦١١. ٦١٢. ٦١٣. ٦١٤. ٦١٥. ٦١٦. ٦١٧. ٦١٨. ٦١٩. ٦٢٠. ٦٢١. ٦٢٢. ٦٢٣. ٦٢٤. ٦٢٥. ٦٢٦. ٦٢٧. ٦٢٨. ٦٢٩. ٦٣٠. ٦٣١. ٦٣٢. ٦٣٣. ٦٣٤. ٦٣٥. ٦٣٦. ٦٣٧. ٦٣٨. ٦٣٩. ٦٤٠. ٦٤١. ٦٤٢. ٦٤٣. ٦٤٤. ٦٤٥. ٦٤٦. ٦٤٧. ٦٤٨. ٦٤٩. ٦٥٠. ٦٥١. ٦٥٢. ٦٥٣. ٦٥٤. ٦٥٥. ٦٥٦. ٦٥٧. ٦٥٨. ٦٥٩. ٦٦٠. ٦٦١. ٦٦٢. ٦٦٣. ٦٦٤. ٦٦٥. ٦٦٦. ٦٦٧. ٦٦٨. ٦٦٩. ٦٧٠. ٦٧١. ٦٧٢. ٦٧٣. ٦٧٤. ٦٧٥. ٦٧٦. ٦٧٧. ٦٧٨. ٦٧٩. ٦٨٠. ٦٨١. ٦٨٢. ٦٨٣. ٦٨٤. ٦٨٥. ٦٨٦. ٦٨٧. ٦٨٨. ٦٨٩. ٦٩٠. ٦٩١. ٦٩٢. ٦٩٣. ٦٩٤. ٦٩٥. ٦٩٦. ٦٩٧. ٦٩٨. ٦٩٩. ٧٠٠. ٧٠١. ٧٠٢. ٧٠٣. ٧٠٤. ٧٠٥. ٧٠٦. ٧٠٧. ٧٠٨. ٧٠٩. ٧١٠. ٧١١. ٧١٢. ٧١٣. ٧١٤. ٧١٥. ٧١٦. ٧١٧. ٧١٨. ٧١٩. ٧٢٠. ٧٢١. ٧٢٢. ٧٢٣. ٧٢٤. ٧٢٥. ٧٢٦. ٧٢٧. ٧٢٨. ٧٢٩. ٧٣٠. ٧٣١. ٧٣٢. ٧٣٣. ٧٣٤. ٧٣٥. ٧٣٦. ٧٣٧. ٧٣٨. ٧٣٩. ٧٤٠. ٧٤١. ٧٤٢. ٧٤٣. ٧٤٤. ٧٤٥. ٧٤٦. ٧٤٧. ٧٤٨. ٧٤٩. ٧٥٠. ٧٥١. ٧٥٢. ٧٥٣. ٧٥٤. ٧٥٥. ٧٥٦. ٧٥٧. ٧٥٨. ٧٥٩. ٧٦٠. ٧٦١. ٧٦٢. ٧٦٣. ٧٦٤. ٧٦٥. ٧٦٦. ٧٦٧. ٧٦٨. ٧٦٩. ٧٧٠. ٧٧١. ٧٧٢. ٧٧٣. ٧٧٤. ٧٧٥. ٧٧٦. ٧٧٧. ٧٧٨. ٧٧٩. ٧٨٠. ٧٨١. ٧٨٢. ٧٨٣. ٧٨٤. ٧٨٥. ٧٨٦. ٧٨٧. ٧٨٨. ٧٨٩. ٧٩٠. ٧٩١. ٧٩٢. ٧٩٣. ٧٩٤. ٧٩٥. ٧٩٦. ٧٩٧. ٧٩٨. ٧٩٩. ٨٠٠. ٨٠١. ٨٠٢. ٨٠٣. ٨٠٤. ٨٠٥. ٨٠٦. ٨٠٧. ٨٠٨. ٨٠٩. ٨١٠. ٨١١. ٨١٢. ٨١٣. ٨١٤. ٨١٥. ٨١٦. ٨١٧. ٨١٨. ٨١٩. ٨٢٠. ٨٢١. ٨٢٢. ٨٢٣. ٨٢٤. ٨٢٥. ٨٢٦. ٨٢٧. ٨٢٨. ٨٢٩. ٨٣٠. ٨٣١. ٨٣٢. ٨٣٣. ٨٣٤. ٨٣٥. ٨٣٦. ٨٣٧. ٨٣٨. ٨٣٩. ٨٤٠. ٨٤١. ٨٤٢. ٨٤٣. ٨٤٤. ٨٤٥. ٨٤٦. ٨٤٧. ٨٤٨. ٨٤٩. ٨٥٠. ٨٥١. ٨٥٢. ٨٥٣. ٨٥٤. ٨٥٥. ٨٥٦. ٨٥٧. ٨٥٨. ٨٥٩. ٨٦٠. ٨٦١. ٨٦٢. ٨٦٣. ٨٦٤. ٨٦٥. ٨٦٦. ٨٦٧. ٨٦٨. ٨٦٩. ٨٧٠. ٨٧١. ٨٧٢. ٨٧٣. ٨٧٤. ٨٧٥. ٨٧٦. ٨٧٧. ٨٧٨. ٨٧٩. ٨٨٠. ٨٨١. ٨٨٢. ٨٨٣. ٨٨٤. ٨٨٥. ٨٨٦. ٨٨٧. ٨٨٨. ٨٨٩. ٨٩٠. ٨٩١. ٨٩٢. ٨٩٣. ٨٩٤. ٨٩٥. ٨٩٦. ٨٩٧. ٨٩٨. ٨٩٩. ٩٠٠. ٩٠١. ٩٠٢. ٩٠٣. ٩٠٤. ٩٠٥. ٩٠٦. ٩٠٧. ٩٠٨. ٩٠٩. ٩١٠. ٩١١. ٩١٢. ٩١٣. ٩١٤. ٩١٥. ٩١٦. ٩١٧. ٩١٨. ٩١٩. ٩٢٠. ٩٢١. ٩٢٢. ٩٢٣. ٩٢٤. ٩٢٥. ٩٢٦. ٩٢٧. ٩٢٨. ٩٢٩. ٩٣٠. ٩٣١. ٩٣٢. ٩٣٣. ٩٣٤. ٩٣٥. ٩٣٦. ٩٣٧. ٩٣٨. ٩٣٩. ٩٤٠. ٩٤١. ٩٤٢. ٩٤٣. ٩٤٤. ٩٤٥. ٩٤٦. ٩٤٧. ٩٤٨. ٩٤٩. ٩٥٠. ٩٥١. ٩٥٢. ٩٥٣. ٩٥٤. ٩٥٥. ٩٥٦. ٩٥٧. ٩٥٨. ٩٥٩. ٩٦٠. ٩٦١. ٩٦٢. ٩٦٣. ٩٦٤. ٩٦٥. ٩٦٦. ٩٦٧. ٩٦٨. ٩٦٩. ٩٧٠. ٩٧١. ٩٧٢. ٩٧٣. ٩٧٤. ٩٧٥. ٩٧٦. ٩٧٧. ٩٧٨. ٩٧٩. ٩٨٠. ٩٨١. ٩٨٢. ٩٨٣. ٩٨٤. ٩٨٥. ٩٨٦. ٩٨٧. ٩٨٨. ٩٨٩. ٩٩٠. ٩٩١. ٩٩٢. ٩٩٣. ٩٩٤. ٩٩٥. ٩٩٦. ٩٩٧. ٩٩٨. ٩٩٩. ١٠٠٠. ١٠٠١. ١٠٠٢. ١٠٠٣. ١٠٠٤. ١٠٠٥. ١٠٠٦. ١٠٠٧. ١٠٠٨. ١٠٠٩. ١٠١٠. ١٠١١. ١٠١٢. ١٠١٣. ١٠١٤. ١٠١٥. ١٠١٦. ١٠١٧. ١٠١٨. ١٠١٩. ١٠٢٠. ١٠٢١. ١٠٢٢. ١٠٢٣. ١٠٢٤. ١٠٢٥. ١٠٢٦. ١٠٢٧. ١٠٢٨. ١٠٢٩. ١٠٣٠. ١٠٣١. ١٠٣٢. ١٠٣٣. ١٠٣٤. ١٠٣٥. ١٠٣٦. ١٠٣٧. ١٠٣٨. ١٠٣٩. ١٠٤٠. ١٠٤١. ١٠٤٢. ١٠٤٣. ١٠٤٤. ١٠٤٥. ١٠٤٦. ١٠٤٧. ١٠٤٨. ١٠٤٩. ١٠٥٠. ١٠٥١. ١٠٥٢. ١٠٥٣. ١٠٥٤. ١٠٥٥. ١٠٥٦. ١٠٥٧. ١٠٥٨. ١٠٥٩. ١٠٦٠. ١٠٦١. ١٠٦٢. ١٠٦٣. ١٠٦٤. ١٠٦٥. ١٠٦٦. ١٠٦٧. ١٠٦٨. ١٠٦٩. ١٠٧٠. ١٠٧١. ١٠٧٢. ١٠٧٣. ١٠٧٤. ١٠٧٥. ١٠٧٦. ١٠٧٧. ١٠٧٨. ١٠٧٩. ١٠٨٠. ١٠٨١. ١٠٨٢. ١٠٨٣. ١٠٨٤. ١٠٨٥. ١٠٨٦. ١٠٨٧. ١٠٨٨. ١٠٨٩. ١٠٩٠. ١٠٩١. ١٠٩٢. ١٠٩٣. ١٠٩٤. ١٠٩٥. ١٠٩٦. ١٠٩٧. ١٠٩٨. ١٠٩٩. ١١٠٠. ١١٠١. ١١٠٢. ١١٠٣. ١١٠٤. ١١٠٥. ١١٠٦. ١١٠٧. ١١٠٨. ١١٠٩. ١١١٠. ١١١١. ١١١٢. ١١١٣. ١١١٤. ١١١٥. ١١١٦. ١١١٧. ١١١٨. ١١١٩. ١١٢٠. ١١٢١. ١١٢٢. ١١٢٣. ١١٢٤. ١١٢٥. ١١٢٦. ١١٢٧. ١١٢٨. ١١٢٩. ١١٣٠. ١١٣١. ١١٣٢. ١١٣٣. ١١٣٤. ١١٣٥. ١١٣٦. ١١٣٧. ١١٣٨. ١١٣٩. ١١٤٠. ١١٤١. ١١٤٢. ١١٤٣. ١١٤٤. ١١٤٥. ١١٤٦. ١١٤٧. ١١٤٨. ١١٤٩. ١١٥٠. ١١٥١. ١١٥٢. ١١٥٣. ١١٥٤. ١١٥٥. ١١٥٦. ١١٥٧. ١١٥٨. ١١٥٩. ١١٦٠. ١١٦١. ١١٦٢. ١١٦٣. ١١٦٤. ١١٦٥. ١١٦٦. ١١٦٧. ١١٦٨. ١١٦٩. ١١٧٠. ١١٧١. ١١٧٢. ١١٧٣. ١١٧٤. ١١٧٥. ١١٧٦. ١١٧٧. ١١٧٨. ١١٧٩. ١١٨٠. ١١٨١. ١١٨٢. ١١٨٣. ١١٨٤. ١١٨٥. ١١٨٦. ١١٨٧. ١١٨٨. ١١٨٩. ١١٩٠. ١١٩١. ١١٩٢. ١١٩٣. ١١٩٤. ١١٩٥. ١١٩٦. ١١٩٧. ١١٩٨. ١١٩٩. ١٢٠٠. ١٢٠١. ١٢٠٢. ١٢٠٣. ١٢٠٤. ١٢٠٥. ١٢٠٦. ١٢٠٧. ١٢٠٨. ١٢٠٩. ١٢١٠. ١٢١١. ١٢١٢. ١٢١٣. ١٢١٤. ١٢١٥. ١٢١٦. ١٢١٧. ١٢١٨. ١٢١٩. ١٢٢٠. ١٢٢١. ١٢٢٢. ١٢٢٣. ١٢٢٤. ١٢٢٥. ١٢٢٦. ١٢٢٧. ١٢٢٨. ١٢٢٩. ١٢٣٠. ١٢٣١. ١٢٣٢. ١٢٣٣. ١٢٣٤. ١٢٣٥. ١٢٣٦. ١٢٣٧. ١٢٣٨. ١٢٣٩. ١٢٤٠. ١٢٤١. ١٢٤٢. ١٢٤٣. ١٢٤٤. ١٢٤٥. ١٢٤٦. ١٢٤٧. ١٢٤٨. ١٢٤٩. ١٢٥٠. ١٢٥١. ١٢٥٢. ١٢٥٣. ١٢٥٤. ١٢٥٥. ١٢٥٦. ١٢٥٧. ١٢٥٨. ١٢٥٩. ١٢٦٠. ١٢٦١. ١٢٦٢. ١٢٦٣. ١٢٦٤. ١٢٦٥. ١٢٦٦. ١٢٦٧. ١٢٦٨. ١٢٦٩. ١٢٧٠. ١٢٧١. ١٢٧٢. ١٢٧٣. ١٢٧٤. ١٢٧٥. ١٢٧٦. ١٢٧٧. ١٢٧٨. ١٢٧٩. ١٢٨٠. ١٢٨١. ١٢٨٢. ١٢٨٣. ١٢٨٤. ١٢٨٥. ١٢٨٦. ١٢٨٧. ١٢٨٨. ١٢٨٩. ١٢٩٠. ١٢٩١. ١٢٩٢. ١٢٩٣. ١٢٩٤. ١٢٩٥. ١٢٩٦. ١٢٩٧. ١٢٩٨. ١٢٩٩. ١٣٠٠. ١٣٠١. ١٣٠٢. ١٣٠٣. ١٣٠٤. ١٣٠٥. ١٣٠٦. ١٣٠٧. ١٣٠٨. ١٣٠٩. ١٣١٠. ١٣١١. ١٣١٢. ١٣١٣. ١٣١٤. ١٣١٥. ١٣١٦. ١٣١٧. ١٣١٨. ١٣١٩. ١٣٢٠. ١٣٢١. ١٣٢٢. ١٣٢٣. ١٣٢٤. ١٣٢٥. ١٣٢٦. ١٣٢٧. ١٣٢٨. ١٣٢٩. ١٣٣٠. ١٣٣١. ١٣٣٢. ١٣٣٣. ١٣٣٤. ١٣٣٥. ١٣٣٦. ١٣٣٧. ١٣٣٨. ١٣٣٩. ١٣٤٠. ١٣٤١. ١٣٤٢. ١٣٤٣. ١٣٤٤. ١٣٤٥. ١٣٤٦. ١٣٤٧. ١٣٤٨. ١٣٤٩. ١٣٥٠. ١٣٥١. ١٣٥٢. ١٣٥٣. ١٣٥٤. ١٣٥٥. ١٣٥٦. ١٣٥٧. ١٣٥٨. ١٣٥٩. ١٣٦٠. ١٣٦١. ١٣٦٢. ١٣٦٣. ١٣٦٤. ١٣٦٥. ١٣٦٦. ١٣٦٧. ١٣٦٨. ١٣٦٩. ١٣٧٠. ١٣٧١. ١٣٧٢. ١٣٧٣. ١٣٧٤. ١٣٧٥. ١٣٧٦. ١٣٧٧. ١٣٧٨. ١٣٧٩. ١٣٨٠. ١٣٨١. ١٣٨٢. ١٣٨٣. ١٣٨٤. ١٣٨٥. ١٣٨٦. ١٣٨٧. ١٣٨٨. ١٣٨٩. ١٣٩٠. ١٣٩١. ١٣٩٢. ١٣٩٣. ١٣٩٤. ١٣٩٥. ١٣٩٦. ١٣٩٧. ١٣٩٨. ١٣٩٩. ١٤٠٠. ١٤٠١. ١٤٠٢. ١٤٠٣. ١٤٠٤. ١٤٠٥. ١٤٠٦. ١٤٠٧. ١٤٠٨. ١٤٠٩. ١٤١٠. ١٤١١. ١٤١٢. ١٤١٣. ١٤١٤. ١٤١٥. ١٤١٦. ١٤١٧. ١٤١٨. ١٤١٩. ١٤٢٠. ١٤٢١. ١٤٢٢. ١٤٢٣. ١٤٢٤. ١٤٢٥. ١٤٢٦. ١٤٢٧. ١٤٢٨. ١٤٢٩. ١٤٣٠. ١٤٣١. ١٤٣٢. ١٤٣٣. ١٤٣٤. ١٤٣٥. ١٤٣٦. ١٤٣٧. ١٤٣٨. ١٤٣٩. ١٤٤٠. ١٤٤١. ١٤٤٢. ١٤٤٣. ١٤٤٤. ١٤٤٥. ١٤٤٦. ١٤٤٧. ١٤٤٨. ١٤٤٩. ١٤٥٠. ١٤٥١. ١٤٥٢. ١٤٥٣. ١٤٥٤. ١٤٥٥. ١٤٥٦. ١٤٥٧. ١٤٥٨. ١٤٥٩. ١٤٦٠. ١٤٦١. ١٤٦٢. ١٤٦٣. ١٤٦٤. ١٤٦٥. ١٤٦٦. ١٤٦٧. ١٤٦٨. ١٤٦٩. ١٤٧٠. ١٤٧١. ١٤٧٢. ١٤٧٣. ١٤٧٤. ١٤٧٥. ١٤٧٦. ١٤٧٧. ١٤٧٨. ١٤٧٩. ١٤٨٠. ١٤٨١. ١٤٨٢. ١٤٨٣. ١٤٨٤. ١٤٨٥. ١٤٨٦. ١٤٨٧. ١٤٨٨. ١٤٨٩. ١٤٩٠. ١٤٩١. ١٤٩٢. ١٤٩٣. ١٤٩٤. ١٤٩٥. ١٤٩٦. ١٤٩٧. ١٤٩٨. ١٤٩٩. ١٥٠٠. ١٥٠١. ١٥٠٢. ١٥٠٣. ١٥٠٤. ١٥٠٥. ١٥٠٦. ١٥٠٧. ١٥٠٨. ١٥٠٩. ١٥١٠. ١٥١١. ١٥١٢. ١٥١٣. ١٥١٤. ١٥١٥. ١٥١٦. ١٥١٧. ١٥١٨. ١٥١٩. ١٥٢٠. ١٥٢١. ١٥٢٢. ١٥٢٣. ١٥٢٤. ١٥٢٥. ١٥٢٦. ١٥٢٧. ١٥٢٨. ١٥٢٩. ١٥٣٠. ١٥٣١. ١٥٣٢. ١٥٣٣. ١٥٣٤. ١٥٣٥. ١٥٣٦. ١٥٣٧. ١٥٣٨. ١٥٣٩. ١٥٤٠. ١٥٤١. ١٥٤٢. ١٥٤٣. ١٥٤٤. ١٥٤٥. ١٥٤٦. ١٥٤٧. ١٥٤٨. ١٥٤٩. ١٥٥٠. ١٥٥١. ١٥٥٢. ١٥٥٣. ١٥٥٤. ١٥٥٥. ١٥٥٦. ١٥٥٧. ١٥٥٨. ١٥٥٩. ١٥٦٠. ١٥٦١. ١٥٦٢. ١٥٦٣. ١٥٦٤. ١٥٦٥. ١٥٦٦. ١٥٦٧. ١٥٦٨. ١٥٦٩. ١٥٧٠. ١٥٧١. ١٥٧٢. ١٥٧٣. ١٥٧٤. ١٥٧٥. ١٥٧٦. ١٥٧٧. ١٥٧٨. ١٥٧٩. ١٥٨٠. ١٥٨١. ١٥٨٢. ١٥٨٣. ١٥٨٤. ١٥٨٥. ١٥٨٦. ١٥٨٧. ١٥٨٨. ١٥٨٩. ١٥٩٠. ١٥٩١. ١٥٩٢. ١٥٩٣. ١٥٩٤. ١٥٩٥. ١٥٩٦. ١٥٩٧. ١٥٩٨. ١٥٩٩. ١٦٠٠. ١٦٠١. ١٦٠٢. ١٦٠٣. ١٦٠٤. ١٦٠٥. ١٦٠٦. ١٦٠٧. ١٦٠٨. ١٦٠٩. ١٦١٠. ١٦١١. ١٦١٢. ١٦١٣. ١٦١٤. ١٦١٥. ١٦١٦. ١٦١٧. ١٦١٨. ١٦١٩. ١٦٢٠. ١٦٢١. ١٦٢٢. ١٦٢٣. ١٦٢٤. ١٦٢٥. ١٦٢٦. ١٦٢٧. ١٦٢٨. ١٦٢٩. ١٦٣٠. ١٦٣١. ١٦٣٢. ١٦٣٣. ١٦٣٤. ١٦٣٥. ١٦٣٦. ١٦٣٧. ١٦٣٨. ١٦٣٩. ١٦٤٠. ١٦٤١. ١٦٤٢. ١٦٤٣. ١٦٤٤. ١٦٤٥. ١٦٤٦. ١٦٤٧. ١٦٤٨. ١٦٤٩. ١٦٥٠. ١٦٥١. ١٦٥٢. ١٦٥٣. ١٦٥٤. ١٦٥٥. ١٦٥٦. ١٦٥٧. ١٦٥٨. ١٦٥٩. ١٦٦٠. ١٦٦١. ١٦٦٢. ١٦٦٣. ١٦٦٤. ١٦٦٥. ١٦٦٦. ١



## حرب السنوات السبع

٥٤ - ٦٠ / ٦٧٤ - ٦٨٠ م

تعتبر الحملة التي قادها يزيد بن معاوية ضد القسطنطينية حملة استطلاعية . استهدفت معرفة موقع تلك العاصمة ، وأمثلة الطرق للاستيلاء عليها . وكانت نتيجة تلك الدراسات التهديدية هو أن الهجوم على القسطنطينية يتطلب إعداد أسطول عربي قوى ، يقف على قدم المساواة مع القوات البرية ، وضرورة وضع خطة تنسق التعاون بين كل من القوتين البرية والبحرية أثناء حصار تلك المدينة المنيعه .

واكتسبت القسطنطينية تلك المكانة الاستراتيجية بسبب إحاطة المياه بها تقريباً من ثلاث جهات . فقبل اتصال مياه البسفور ببحر مرمرة يمتد داخل الشاطئ الأوربي خليج عظيم طوله سبعة أميال في انحناء أشبه بالمنجل أو القرن ، جعله يعرف في التاريخ باسم « القرن الذهبي » . وبين القرن الذهبي وبحر مرمرة قامت رأس أرض تلالية ، على شكل مثلث متساوي الضلعين تقريباً ، رأسه تقابل الشاطئ الآسيوي . وعلى تلك البقعة الفريدة نشأت القسطنطينية التي صارت تنعم بميناء طبيعي في القرن الذهبي ، يكفل لأساطيلها الحماية ، فضلاً عن حصانة المدينة نفسها لأن المياه تحيط بها تقريباً من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية<sup>(١)</sup> .

وبعد أن قام العرب بحملتهم الأولى الاستطلاعية ضد القسطنطينية ،

(١) Rnuciman, Byzantine civilization, 12.

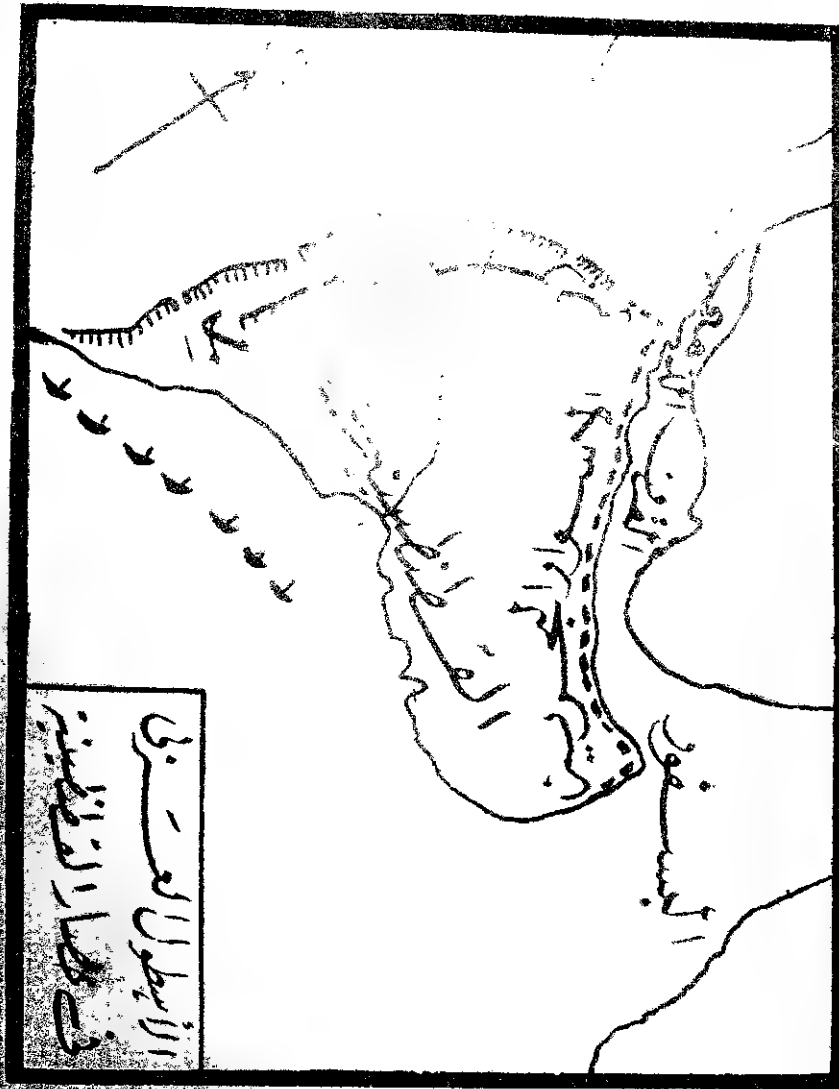
وجه أباطرة الروم جهدهم لتأمين وتدعيم وسائل الدفاع عن تلك العاصمة . واستهدفت سياسة الروم إقامة حلقة محكمة من الأسوار والحصون تكفل للعاصمة مقاومة أى حصار يفرض عليها ، برأ كان أم بحراً ، ولاطول مدة ممكنة . فشيد الأباطرة على جانب القسطنطينية البري المعتد من البسفور إلى القرن الذهبي سوراً متيناً ، صار يكون قاعدة المثلث الذي تحتله المدينة . واشتمل ذلك السور على جدارين أحدهما ملتصق مباشرة بالمباني ويكون خط الدفاع البري الأول وتعلوه الأبراج والحراس ، والجدار الثاني الخارجي . أكثر ارتفاعاً من الجدار الداخلي ، ويحيط به خندق عرضه ٦٦ قدماً لعرقلة زحف القوات المعادية على العاصمة<sup>(١)</sup> .

غير أن اهتمام الأباطرة الأعظم اتجه إلى شئون العاصمة البحرية ، إذ أقاموا جداراً هاماً للدفاع عن القسطنطينية من ناحية البحر ، وغدت تلك الأسوار تحيط بجميع الجهات البحرية الثلاث للعاصمة ، وتعتمد في منعها وقوتها على القلاع والحصون ، أكثر من اعتمادها على سمك الجدار وضخامته . فكان على امتداد القرن الذهبي وبحر مرمرة أسوار بحرية تتصل بالأسوار الأرضية الذي يكون خط الدفاع البري عن العاصمة .

ولم يقف اهتمام السلطات في القسطنطينية عند الجانب الدفاعي الخاص بإقامة الأسوار ، وإنما حصنوا أيضاً الموانئ التي ترسو بها الأساطيل المدافعة عن العاصمة . فإلى جانب القرن الذهبي كان للقسطنطينية موانئ أخرى صغيرة تطل على البسفور ، ولعبت تلك الموانئ برغم صغرها دوراً هاماً في تسهيل الملاحة في مياه القسطنطينية ، إذ كانت السفن تجدد فيها أماكن هادئة تأوى

(١) Bury: History of the later Roman Empire (1904), 70, 71.

(م - ٢ : الأسطول العربي)



إليها عند اشتداد التيار المتدفق من البحر المتوسط إلى البحر الأبيض المتوسط. يزيد من حدته هبوب الرياح الشمالية الغربية. هذا التيار والرياح معاً عرقلة السفن التي تحاول العبور إلى القسطنطينية ودخول القرن الذهبي، لتدني من شأنها.

وفي ذلك الوقت الذي جهّدت فيه أسطولاً بحرياً، قام معاوية بن أبي سفيان على إعداد حملة ثانية ضد معاوية بن أبي سفيان القسطنطينية قبل أن يتم الأباطرة وسائر القضاة، وهم رعايا الأسطول العربي المسكان الأولى في تلك الحملة التي سارت طيلة أواخر سنة ١٠٧٣م بقيادة عبد الرحمن بن خالد. وقد حل فصل الشتاء والأسطول في طريقه إلى مياه القسطنطينية، فألقت السفن مراسيها على شاطئ ديليقية حتى يتحسن الجو (٢).

وبمطلع الربيع عززت قوات خالد البحرية بوصول أسطول عربي آخر، ثم استأنفت القوات جميعها الزحف على القسطنطينية. وفي شهر أبريل اجتاز الأسطول العربي مضيق الدردنيل دون أن يلقى مقاومة، واستولى على جزيرة قزيقوس (أرواد في المراجع العربية) في مياه القسطنطينية الإقليمية، واتخذها قاعدة لإدارة حملاته ضد العاصمة (٣).

وجرت أحداث الحصار العربي للقسطنطينية وفق خطة كان للأسطول فيها الدور الرئيسي. إذ نقلت السفن العربية الجند إلى البر محاصرة أسوار القسطنطينية الخارجية، على حين يكمل الأسطول حلقة الحصار بأن تمتد

Runciman, op cit, 12 ; Bury, op cit 7.8. (١)

Bury, op.cit.II.310. (٢)

Brehier, Vie et Mort de Byzance. 63. (٣)

سبعة بين رأس هيدومون (Hebdomon) ، التي تبعد سبعة أميال عن أسوار القسطنطينية ، وبين رأس كيكليوس (Kyklobios) الواقعة بالقرب من أحد أبواب العاصمة المعروف بباب الذهب .

واستمر الحصار البرى البحرى للقسطنطينية من شهر أبريل إلى سبتمبر ، حيث تخلله المناوشات بين أساطيل العرب والروم وبين جند كل منهما كذلك . فكانت سفن الروم والعرب تتصادم من الصباح إلى المساء ، على حين تترشق القوات البرية بالسهم والقذائف . وظلت المعارك بين الفريقين سجلاً دون أن يستطيع أحدهما التغلب على الآخر<sup>(١)</sup> .

وفي شهر سبتمبر . أى بحلول الشتاء ، رفع العرب الحصار عن القسطنطينية ، بسبب رداءة الأحوال الجوية بالقرب من تلك المدينة . ولكن العرب أظهروا بفضل أسطولهم من الجند والمثابرة ما أثار قلق سكان عاصمة الروم . إذ في شهر سبتمبر ، الذى رفع فيه العرب الحصار ، عادت سفن أسطولهم تحمل الجند إلى جزيرة أرواد ، والتي بها قاعدة الأسطول ، لتقضى بها فصل الشتاء ، وتنتظر تحسن الأحوال الجوية لإعادة الحصار على المدينة . وبمطلع الربيع عادت سفن الأسطول العربى تحمل الجند إلى أسوار القسطنطينية على حين تابع الأسطول حصار المدينة بجرأ ، كما حدث فى العام السالف . وقد أنزل الأسطول العربى بالجند المدافعين عن القسطنطينية خسائر فادحة ، ولكن دون أن يتمكن من اقتحام الأسوار البحرية . وسرعان ما حل الشتاء مرة أخرى ، واضطر الأسطول إلى نقل الجند ثانية إلى جزيرة أرواد<sup>(٢)</sup> .

(١) Brehier, op. cit, 63; Bury op. cit, 310.

(٢) Brehier, op. cit, 63.



وقد تكررت تلك الخطة الحربية حسب تقسيمها إلى أربع مرات  
يبدأ الأسطول العربي فيها نقل الجند إلى شبه الجزيرة العربية في ربيع ، ثم  
يكمل هو حلقة الحصار من البحر ، ثم بعد ذلك يهاجم جزيرة أرواد  
أرواد انتظاراً لمقدم الربيع التالي وهكذا يهاجم أسطول العرب  
في أحداث هذا الحصار الكثير من حصون الجزيرة والشجاعة ذلك  
أن الروم قد عرفوا في تلك الفترة المار البحرية في البحر ، وهي سلاح  
خطير أتعب الأسطول العربي ، لأن كرات النار التي قد فيها الروم كانت  
تشتعل على الماء وعلى ظهور السفن على السواء ، دون أن يعرف العرب  
إذ ذاك وسيلة لإطفائها .

غير أن هذا السلاح الجديد لم يفت في عضد أمراء البحار العرب ،  
ولمّا جاءتهم الإمدادات البحرية تباعاً ، إذ وصل أسطول عربي آخر تحت  
قيادة سفيان بن عوف ، شد من أزر القوات العربية المحاصرة للقسطنطينية<sup>(١)</sup> ،  
على حين أسهمت السفن العربية في مهاجمة أساطيل الروم وحملتها على الإنزواء  
في موانئ العاصمة ، برغم استخدام تلك الأساطيل للنار البحرية .

وبعد سبع سنين من تلك الحروب المضنية أحس معاوية بن أبي سفيان  
بدنو أجله ، وأنه لا بد من سحب الأسطول العربي والقوات البرية المحاصرة  
للقسطنطينية حتى لا تتعرض تلك الحملة إلى الأخطار إذا ما حلت به الوفاة .  
وهي ما زالت مشتبكة مع العدو . ومن ثم دخل معاوية في مفاوضات مع  
الروم لسحب أسطوله وقواته . وكانت دولة الروم تتلهف على إنهاء ذلك  
الحصار القاسي ، وأرسلت إلى دمشق رجلاً يدعى يوحنا ، وهو من أشهر  
رجالها الدبلوماسيين وأكثرهم ذكاء وفطنة .

... حيرة أبناء البيت  
الأموي ... من الأجلال ...  
... الخليفة ...  
... الأساطيل العربية  
... أثبت  
... البحرية العربية  
... الناشئة ...

وتعتبر تلك الحملة البحرية على القسطنطينية عنواناً على قوة جلد العرب  
وقدرتهم على اكتساب الخبرات في الملاحة البحرية في سرعة فائقة .  
إذ عرف أمراء البحر طبيعة المنطقة التي تسلمها عاصمة الروم ، وقوة  
أسوارها وأنواع استحكاماتها ، وذلك على أساس من الدراسة والتحصيل ،  
دون أن يعتمدوا على الارتجال . ويدل على ذلك اختيار جزيرة أرواد  
القريبة من القسطنطينية لتكون مركزاً لخربات الأسطول العربي في الصيف  
والشتاء في مرفأ تلك العاصمة ، وكذلك ذلك أحداث الحصار البحري  
على أن القوات الطبيعية وحدها من تدفق التيارات المائية هي التي عرقلت  
استيلاء الأسطول العربي على القسطنطينية .

نجاح الخليفة عبد الملك بن مروان في إقصاء المردة - الذين دأب الروم على استغلالهم في شل التعاون بين القوات البرية العربية والأسطول العربي - عن أماكنهم نهائياً بجبل اللكام .

ويرجع نجاح الخليفة عبد الملك بن مروان إلى دهائه ، وقصر نظر معاصره امبراطور الروم ، وهو جستنيان الثاني ، إذ دخل عبد الملك مع هذا الامبراطور في مفاوضات تستهدف نقل المردة من جبل اللكام إلى داخل أراضي الروم مقابل دفع ١٠٠٠ دينار سنوياً . ولم يجد عبد الملك أية غضاضة في دفع هذا المبلغ مقابل إبعاد أكبر خطر تهدد قواعد الأسطول العربي بالشام . ونجحت تلك المفاوضات ، حيث نقل جستنيان الثاني ١٢٠٠٠ من المردة إلى رومانيا ، على حين ذهب بعضهم إلى تراقيا ، وتبعثرت البقية الباقية منهم داخل آسيا الصغرى (١) .

وبذلك كسب عبد الملك جولة هامة في تدعيم الأسطول العربي ، في فترة كان مشغولا فيها بشورة عبد الله بن الزبير ، الذي حمل لواء المعارضة للبيت الأموي بعد مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب . وقد أحسر المعاصرون من الروم خطورة عمل حنين بن أبي طالب ، وفداحة الخطأ الذي تردى فيه حين أجاب الخليفة عبد الملك إلى طلبه ، إذ قال أولئك المعاصرون أن نقل المردة حضرة الحسين (عليه السلام) إلى مصر في وجه طلائع الأسطول العربي وقواته في عهد بني أمية .

٩٥ ب. لمت سنة ٧٠٥ م ، ترك لابنه الوليد دولة

## الحصار الثالث للقسطنطينة

كان معاوية بعيد النظر حين عجل بسحب الأسطول العربي بعد أن حاصر القسطنطينية حصاراً شديداً مدة سبع سنوات كاملة . إذ ما كادت سفن الأسطول تلقى مراسها في قواعد الشام سنة ٦٨٠ م حتى توفي معاوية في نفس العام . تاركاً ابنه يزيد الذي تولى منصب الخلافة وسط معارضة شديدة من بعض كبار رجالات العرب ، وعلى رأسهم الحسين بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن الزبير .

وقد ترتب على تلك المعارضة الشديدة حدوث انقسام في الدولة الإسلامية ، وقيام حروب أهلية مريعة صرفت جهد البيت الأموي عن متابعة النشاط البحري . وفضلا عن ذلك فإن مشاكل البيت الأموي لم تنتهي بقضاء الخليفة يزيد بن معاوية على ثورة الحسين بن علي بن أبي طالب . إذ حدث انشقاق في البيت الأموي نفسه عقب وفاة يزيد وتخلي ابنه معاوية الثاني عن الخلافة . ذلك أن نورا من بني أمية تصلح إلى اقتراع الخلافة لنفسه ، وانما كان سببا في انشقاق البيت الأموي مروان بن الحكم الخلافة سنة ٦٨٤م . فبعد عام هذه التفرقة من لبث السفبان إلى البيت الأموي .

تغيير في الموضع  
البيت المروي  
قواعده في الموضع

ثابتة الأركان ، ولا سيما بعد أن نجح في القضاء على موريث عبد الله بن الزبير . وكان الوليد خير خلف لأبيه . إذ تابع سياسة تقوية الأسطول العربي ، وخلق تعاون قوى بينه وبين القوات البرية . واتخذ الوليد من بلاد الروم في آسيا الصغرى ميداناً تتدرب فيه القوات البحرية العربية ، والبرية على التعاون في الهجوم على معاقل الروم . مهداً بذلك الطريق على القسطنطينية .

وأسهم الأسطول العربي في تلك التدريبات مهممة فعالة . انسمت بالمغامرة كذلك . وفي إحدى حملات الأسطول العربي سنة ٧٠٩ هـ وقع أمير البحر العربي خالد بن كيسان أسيراً في أيدي أسطول الروم . غير أن امبراطور الروم آثر مبادنة العرب . وأعد خالد بن كيسان للخليفة الوليد ، برهاناً على تطلعه إلى الوثائق والسلام .

ولكن الخليفة الوليد لم يغض النظر عن عاصمته الروم . أدرك ضرورة الزحف على تلك العاصمة ليجرم أسطول أعدائه من أي فاعدة له في البحر الأبيض المتوسط . ولذا أخذ الوليد يعد حملة بحرية واسعة القوة ، نصب عليها أخاه مسلمة بن عبد الملك . وفي سنة ٧١٢ هـ ترامت إلى سلطات الروم أنباء الاستعدادات البحرية العربية . فأوفد الامبراطور أنسطاسي سفارة إلى دمشق تفاوض الأمويين في عقد هدنة . وتأكيد في نفس الوقت من مدى استعداد الأسطول العربي . وكان رئيس تلك السفارة رجلاً حصيفاً يدعى دانيال ، حاكم مدينة سينوب ، ومن الشخصيات الكبرى التي تعتمد دولة الروم على صدق تقاريره (١) .

ولما وصلت سفارة الروم إلى دمشق شاهدت ضخامة الاستعداد البحري

وأبهرى . . . عادت حصن تلك الميناء بحرباً ماضية ورجالها في القسطنطينية ، وتنصح بضرورة اتخاذ الاحتياطات للدفاع ، ولا سيما الاهتمام بالناحية البحرية . . . تحففت خطة الروم البحرية . . . قاعدته لأسطولهم ، تكون مهمتها عرقلة زحف الأسطول العربي على القسطنطينية وإنشاء قاعدة أخرى قوية في العاصمة . تسبها لمقاومة أسطول العرب إذا ما استطاع الوصول إلى القسطنطينية .

وتحمت سياسة الروم الجديدة بحرباً من شواطئ آسيا الصغرى وأجزر القسطنطينية . . . إقفلت البحار . . . في قواعده سفن حربية على أهبة الاستعداد للقتال . . . أقام الروم في جهات بحر مرمرية أمواجاً من القسطنطينية عرقلة بحرية لأسطول العاصمة على الدفاع . وقد مال أمير البحر إلى أسطول القسطنطينية سلطات واسعة ، تخول له حق تنظيم وسائل التعاون بين أسطول شواطئ آسيا الصغرى وأسطول ساحل بحر مرمرية .

وفي نفس الوقت أعادت سلطات الروم تجديد أسوار القسطنطينية ، ولا سيما الجهات المظة منها على المياه ، حيث كان التداعى قد دب فيها . ثم وضعت على تلك الأسوار كل الآلات الخربية من المجانيق وغيرها من وسائل الدفاع . واستعد سكان القسطنطينية خصار قد يطول إلى ثلاث سنوات ووضعوا في خزائن منازلهم كميات كبيرة من الغلال (٢) .

ورأى امبراطور الروم المبادرة بعرقلة استعداد العرب البحري .

(١) الطبرى نفس المرجع ، ج ٨ ، ص ٦٨ .

(٢) Bury, op. cit, 371.

(١) الطبرى نفس المرجع ، ج ٨ ، ص ٦٨ .

(٢) Bury, op. cit, 371.







الشجاعة ما شهد لهم بعلو روحهم المعنوية . وظهر من الجند العرب عبد الله البطال ، كبير حراس مسلة بن عبد الملك ، الذى أبلى فى هذا الحصار بلاءاً حسناً أكسبه لقب زعيم الأبطال . وغدا اسمه موضوعاً لعدد من القصص تناولت شجاعته باسم « السيد غازى »<sup>(١)</sup> .

غير أن حصار القسطنطينية ظل ناقصاً برغم أعمال البطولة التى أبداها الجند العرب . ذلك أن العوامل الطبيعية بالقرب من القسطنطينية لعبت دورها مرة أخرى فى عرقلة نشاط الأسطول العربى ومنعه من مساعدة القوات البرية فى حصارها لعاصمة الروم . إذ بينما وقفت الجيوش العربية أمام أسوار القسطنطينية وفرضت عليها حصاراً شديداً ، لم يستطع الأسطول السير شمالاً للسيطرة على مضيق البسفور . وكان السبب فى ذلك هو اشتداد تدفق التيار المائى من البحر الأسود عبر البسفور إلى بحر مرمرة ، بسبب تغيير الرياح لاتجاهها إلى تلب المنطقة من جنوبية إلى شمالية .

وقد ترتب على تلك العوامل الطبيعية عجز السفن الحربية عن عبور البسفور ، وبالتالى عجز تحصى حصنة الخاصة بحكمة حلقة الحصار حول القسطنطينية . فبينما تحصن حصن وحدات الأسطول العربى فى حرمان عاصمة الروم من الاتصال بحسب مرسىها الحثيث ، فى بحر مرمرة وبحر إيجه كذلك ، ظلت العاصمة التى لها أهمية على أسوار البحر الأسود ، التى أمدتها بما احتاجت إليه من الغذاء وغير ذلك من مواد الغذائية . وكانت القسطنطينية ترى فى مدينتها شمالية مصدر الحمة الحقيقى ، برغم أن الجهات الجنوبية القريبة منها أمدتها بالرجال والقوى المحاربة . فكان سكان عاصمة الروم يرتبون خططهم الدفاعية على أساس الاستقلال عن المساعدات

(١) العيون والعدائى . ج ٢ ص ٤٤٤ ، ٤٩٠ . Hitu, op. cit.

الحربية ، وبذل قصارى جهدهم فى الاحتفاظ بمصادر غذائهم من ناحية الشمال .

وفى تلك الفترة اتى اشتد فيها الحصار العربى للقسطنطينية توفى الخليفة سليمان بن عبد الملك ، وتولى بعده الخليفة عمر بن عبد العزيز . وتردد صدى هذا التغيير فى سير الحملة المحاصرة للقسطنطينية ، إذ رأى الخليفة الجديد أن الأوضاع الخاصة بالدولة الإسلامية تتطلب تنظيماً وتدعياً بعد أن صارت رقعتها شاسعة ، وأن إيقاف العمليات الحربية الكبرى شرط أساسى للحصول على الاستقرار المنشود لتلك الدولة الشاسعة .

ولذا اتجهت أنظار الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى سحب الأسطول العربى والقوات البرية المحاصرة للقسطنطينية . فأرسل فى ١٥ أغسطس سنة ٧١٨ م . أى بعد حصار دام اثني عشر شهراً كاملاً ، يطلب من مسلة العودة بأساطيله وجيوشه إلى الشام . وبذلك عادت تلك الحملة العربية التى تعد من أصغر الأعمال البحرية التى شاهدها البحر الأبيض المتوسط طوال تاريخه الحافل بالتدخل الحربي .

وإذا كانت سحب الملاحية بالقرب من القسطنطينية قد حالت بين الأسطول العربى وبين الاستيلاء على تلك العاصمة ، فإن نتائج النشاط البحرى العربى فى هذه المنطقة قد تردد صداه فى الشطر الغربى من البحر الأبيض المتوسط . ذلك أن سكريس الروم لجهودهم وأساطيلهم من أجل الدفاع عن عاصمتهم ضد النشاط البحرى العربى قد هباً للأسطول العربى خلق قاعدة جديدة له فى شمال أفريقيا ، صارت فيما بعد دعامة السيادة العربية فى غرب البحر الأبيض المتوسط .

(م — هـ الأسطول العربى)

هزيمة الأسطول العربي الذي ظهر بأسيوط الصواري. ومن ثم أخذ يعمل على تنظيم شئون دولته البحرية بما يحفظ تواجه الأمر الواقع، وهو أن العرب صاروا قوة كبرى في البحر الأبيض المتوسط، وأن الحكمة تقضى خلق قاعدة بحرية مبرزة بحرب على حرس الأسطول العربي الفتي، وتكون وسيلة في مستقبل الحروب.

وبدأ قسطنطين بهذه سياسته البحرية الجديدة حين اختار صقلية لتكون مركزا للمقاومة ضد النشاط البحري الجديد المتزايد. فنقل عاصمته إلى تلك الجزيرة بعد وفاة ذات الصواري. ثم عمل على تدعيم أساطيله هناك بربط ماتبقى لدولته من أملاك في إيطاليا مع ممتلكاته في شمال أفريقيا لتصير قوة لها بأسها. واستعمل قسطنطين نشاطه الجديد من الحديد من عاصمته سرقوسة (سيراكوز) بصقايه. حيث بعث أساطيله منها لتغير على القوات العربية التي وصلت طلائعها في تونس<sup>(١)</sup>.

ونجح قسطنطين بفضل قوته البحرية في استرداد الأقاليم التي فتحها العرب في برقة وتونس. كما حصن مدن شمال أفريقيا الهامة مثل قرطاجنة، وزاد عدد السفن الحربية فيها. غير أن أعمال قسطنطين اتسمت بالقسوة، ونجم عنها مؤامرة انتهت بالتملص منه، وقتله غيلة في عاصمته الجديدة، وذلك في ١٢ يوليو سنة ٦٦٨ م.

غير أن مقتل قسطنطين لم يؤثر في سياسة الروم البحرية في غرب البحر الأبيض المتوسط، إذ صارت أساطيل الروم تقف بالمرصاد للفتوحات العربية التي اتجهت في نشاط إلى شمال أفريقيا بعد تولى معاوية بن أبي سفيان

Vasiliev, Histoire de L'Empire Byzantin I, 282 ; (١)

Bury, op. cit, 302. 303

## الفصل الرابع

### الأساطيل العربية

في غرب البحر الأبيض المتوسط

### طلائع البحرية المغربية

سارت خطوات البحرية العربية في غرب البحر الأبيض المتوسط في طريق مماثل لنشأة النشاط البحري العربي في الشطر الشرقي من هذا البحر. ذلك أن أحداث الفتح العربي لشمال أفريقيا، الذي بدأ بعد الاستيلاء على مصر، حمل العرب على بناء أسطول لهم في مياه المغرب يساعدهم على إتمام مشاريعهم وتأمين فتوحاتهم.

وكانت بلاد شمال أفريقيا تابعة للروم، الذين عمدوا إلى التثبيت بالدفاع عن هذا الجزء من ممتلكاتهم ليكون عوضا لهم عما فقدوه من ولايات في شرق البحر الأبيض المتوسط. وكان الامبراطور قسطنطين الثاني هو صاحب تلك السياسة الجديدة بعد هروبه من وقعة ذات الصواري البحرية (٦٣٤/٦٥٥ م). فبينما شغلت الدولة الإسلامية بفتنة مقتل عثمان بن عفان وما تلاها من صراع بين علي ومعاوية، تحول ذلك الامبراطور إلى العناية بشمال أفريقيا.

ودفع الامبراطور قسطنطين إلى الاهتمام بأحوال شمال أفريقيا بعجزه عن



عرش الخلافة . فعندما خرج عقبة بن نافع لغزو شمال أفريقيا سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م اتبع الطريق الداخلى ليسكون بئامن من إغارات سفن الروم . ثم أنه أسس أول قاعدة عربية حربية في شمال أفريقيا ، وهي القيروان<sup>(١)</sup> بعيدا عن الساحل ، حتى تكون عسيرة المنال على الأساطيل المعادية<sup>(٢)</sup> .

ولكن مبعدة عقبه . يكتف لها النجاح بسبب وجود أساطيل الروم ،  
وقد رتها على الاتصاف للروم سكان شمال أفريقيا . إذ أعد الروم بالاتفاق  
مع البربر كميناً عند مدنتهم ، قضى على عقبه أثناء عودته من إحدى  
الإغارات بشمال أفريقيا (٢) . وقد عجز رهير عن قيس البلوى خليفة عقبه  
والذى سار سنة ٦٩ هـ ٦٨٨ م إلى شمال أفريقيا عن تدعيم الفتوحات  
العربية هناك بسبب مبعدة الروم المحجرة كذلك

وكانت حصة الروم تجرى على أساس استغلال افتقار العرب إلى أسطول يساندهم في غاراتهم على شواطئ أفريقيا فلم يتعرض أسطول الروم لقوات العرب التي توطئت في بلاد المغرب حتى صارت خطوط التوطين العربية تمتد إلى السواحل المغربية ولم يقتب زهير لهذا الخطر الكامن في البحر المتوسط وتراجع موقعه وعندما فرغ زهير من حملته قتل قائد الروم الذي كان يخطط لشن حملة انتقامية على العرب إلى مصر بعد فتحه

وفي تلك الأثناء كان يتردد على بعض الأصدقاء في

(۱) ائقہ - ار

١٧ (٧)

(۷) الخ

قوات زهير وهي منهوكة القوى، بالانقضاء عليها جفأة . وقد علم زهير عند ما اقترب من برقة بنزول جند من الروم على ساحلها ، دون أن يتوقع قوة استعداد الروم البحرى . إذا اعتقد زهير أن سفنا ضئيلة للروم قد درست بشواطئ برقة ، ولا ضير من مهاجمتها .

وذهب زهير إلى الساحل على رأس نفر يسير من قواته ليستطلع  
 الأخبار ، فوجد الروم في سفن كثيرة العدد ، ومعهم عدد من أسرى  
 المسبيين ، ولم يكدهؤلاء الأسرى يرون زهير حتى استغاثوا به  
 مستنجدين . فأخذت الخمية زهيراً ومن معه ، وأسرعوا بمهاجمة سفن الروم  
 لتخليص الأسرى . غير أن الروم كانوا قد أعدوا معسكراً على الشاطئ  
 بعيداً عن أعين العرب . ولذا ما كادت أقدام زهير ومن معه تطلأ أرض  
 الساحل حتى فاجأه جند الروم المخفي في المعسكر ، ودارت رحى معركة  
 قاسية . استشهد فيها زهير ، كما استشهد عقبه من قبل عند تهودة<sup>(١)</sup> .

وكان لاستشهاد زهير بأرض برقة نتائج بعيدة المدى في سياسة العرب  
البحرية في غرب البحر الأبيض المتوسط ، إذ أدركت السلطات الأموية  
في دمشق أن الموقف يتطلب انتزاع قواعد الروم البحرية بشمال أفريقيا ،  
ثم اقتداء أسطولهم في آخر في مياه تلك الجهة الجديدة ، تكون مهمته  
القضاء على سيادة الروم البحرية في غرب البحر الأبيض المتوسط .

الذي نتج عنه د. شمس أفریقيا سنة ١٩٧٦ م / ١٩٩٥ م . وبادر حسان بمهاجمة قرطاجنة ، أقوى قاعدة لأسطول الروم في مياه المغرب ، وكان يدرك أن

(١) ابن الأثير، السكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١٧٨؛

نجاحه يتوقف على سرعة العمل والتنفيذ ، ومن ثم فاجأ المدينة بقواته الهائلة ، وأنزل بالروم هزيمة فادحة ، انسحبت على أثرها سفنهم بالميناء والتجأت إلى صقلية<sup>(١)</sup>.

غير أن الروم انتهزوا ابتعاد حسان في فتوحاته عن قرطاجنة وعادت أساطيلهم مرة ثانية إليها ، واستولت على هذا الميناء لخام بعد قتل الحامية العربية . ولكن حسان عاد سريعاً ، وأفسد خطة الروم باسترداده لقرطاجنة<sup>(٢)</sup> . وقد جذبت تلك الإغارة أنظار حسان إلى الخطة البحرية التي يجب أن يسير عليها إزاء الروم ، إذ عرف أن الروم على الساحل معاقل أخرى يتخذونها وسيلة لاسترداد قواعدهم البحرية الكبرى

ومن ذلك أن الروم حاولوا بعد خروجهم من قرطاجنة للمرة الثانية اتخاذ شبه الجزيرة الواقع شمال تونس ، والذي تقع فيه بنزرت مقراً لأعمالهم الحربية ضد العرب . وتعرف هذه المنطقة بإقليم سطفورة ، وتضم عدداً كبيراً من المدن التي تعتمد عن البحر في الدفاع عن نفسها والحصول على الأمداد . ولذا بادر حسان بطرد الروم من تلك الجهات الساحلية ، ودعم أقدام العرب فيها<sup>(٣)</sup> .

ولكن حساناً أحس أن الروم لن يكفوا عن إغارتهم طالما يفتقر العرب إلى أسطول يحمي شواطئ شمال أفريقيا . وكان حسان صادق الظن ، إذ انتهز أمبراطور الروم انشغال حسان بفتن داخلية في شمال أفريقيا ، وبعث سنة ٥٧٨ م / ٦٩٧ م أسطولاً عظيماً ، على رأسه أشهر قادته وهو

(١) البكري ، وصف أفريقيا ، ص ٣٧ . ابن الأثير ، أسد الغابة ، ج ٤ ، ص ١٩٣ .

(٢) ابن عذارى ، المغرب ج ١ ، ص ٢٠ .

(٣) ابن عذارى ، نفس المرجع ، ص ٢٠ .

البطريق يوحنا ، واستولى على قرطاجنة مرة أخرى . ومن ثم بعث حسان في طلب أسطول عربي يشد من أزده في استرداد قرطاجنة ، وجاءته عدة سفن حربية كانت أول قوة بحرية عربية ظهرت في مياه شمال أفريقيا .

واستطاع حسان بفضل المعونة البحرية أن نال نصراً باهراً على الروم ، إذ دارت رحى معركة بحرية بين أسطول حسان وأسطول الروم ، انتهت بانتصار العرب<sup>(١)</sup> ، الذين ثبتوا بسوء الحظ أن أسطول العرب الفتي قد صار قوة شديدة البطش . فآثر أهل الروم الفرار عائداً إلى بلادهم ، ولم يبق من أسطول الروم إلا عدد قليل من السفن التي هاجم النجدة بواة خلقت قوة بحرية في المغرب ، تعمل على شد أزور العرب في فتوحاتهم وأعمالهم . فأنشأ قاعدته بونس<sup>(٢)</sup> التي حلت محل قرطاجنة ، وصارت مركزاً للبحرية العربية ، نشأ عنها المبكر في غرب البحر الأبيض المتوسط .

وخطا الأسطول العربي الفتي في غرب البحر الأبيض المتوسط خطوات سريعة في سبيل المجد والقوة . على نحو ما قام به قرينه في شرق البحر الأبيض المتوسط . وتجلت مظاهر نشاط الأسطول المغربي في عهد ولاية موسى بن نصير ، الذي خلف حسان بن النعمان على شمال أفريقيا سنة ٨٩ هـ / ٧٠٧ م . إذ استهل هذا الوالي الجديد حكمه بإرسال أسطول له مطاردة الروم من قواعدهم في الجزر القارية من الممتلكات العربية في شمال أفريقيا . فهاجمت السفن المغربية جزر منورقة وميورقة بالقرب من سواحل أسبانيا ، وضمتهما إلى التبعية للعرب بشمال أفريقيا<sup>(٣)</sup> .

(١) Diehl, L'Afrique, 583 - 584 .

(٢) أنظر الفصل السادس من هذا الكتاب .

(٣) أبو الحسن ، نفس المرجع ، ج ١ ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

Mercier, L'Afrique I, 217.

وفي عهد موسى بن نصير قام العرب كذلك باستخدام أسطولهم لفتح شبه جزيرة أيبيريا، والانتقال إلى مرحلة جديدة من التوسع وإتمام سيادتهم على البحر الأبيض المتوسط. وفي سنة ٧١٠ م خرج أحد قادة موسى بن نصير، وهو طريف، على رأس حملة بحرية قوامها أربع مائة راجل ومائة فارس استولت على شبه الجزيرة الصغيرة التي تعتبر أقصى جزء في الجنوب من القارة الأوربية.

ولقد ظلت شبه الجزيرة تحمل اسم طريف إلى الآن حيث تدعى تاريخاً أي جزيرة طريف، وتمثل النتائج الأولى لنشاط العرب البحري في الميدان الغربي للبحر الأبيض المتوسط. ثم تلبث جهود العرب البحرية أن اتسعت في العام التالي لغزوة طريف، حيث قدم طارق بن زياد على رأس حملة كبيرة أفلتها سفن عديدة إلى الصحراء ليعظموا التي ما زالت حتى اليوم تخلد هذا العبور البحري العظيم. وقد كان رتبهم سامي، ففسر الاهتمام بالأسطول العربي في تلك الفترة أناساً آخرين، وغيرهم إلى المقاتلين في أسبانيا، حتى من الأسبانية نفسها. على هذا الركن اعتمد من جنوب أوروبا.

ثم أن الأسطول البحري قد تمكن من فتح مصر، وسجل نصراً بحرياً آخر، ساعد على إخلاء مصر من أيدي الروم، وهو الاستيلاء على الجزر الكبرى في البحر الأحمر. ذلك أن الروم قد تمكن من نصير وجه نظره إلى السيطرة على جزيرة قوسرة، وهي مشهورة اليوم باسم

(١) قوسرة (Qossyra) وهي جزيرة صغيرة في البحر الأحمر، وهي من أهم الموانئ في مصر. هذا الاسم أطلق عليها المشايخ العرب في سيرة بني هاشم، والذين كانوا يسمونها جزيرة قوسرة في اللغة العربية نفس الاسم وهو قوسرة. (أنظر جسر جند عبد الوهاب، قصة جزيرة قوسرة لدرية، ص ١٠٠).

بنطلارية، بسبب قربها من البلاد التونسية، وتسامتها من الشمال الشرقي. وقد تمتعت تلك الجزيرة بموقع ممتاز يساعد على الدفاع عن شمال أفريقيا، ويمكن اتخاذها في نفس الوقت قاعدة للتوسع البحري كذلك، إذ تقترب جزيرة قوسرة من صقلية، التي كانت القاعدة الكبرى لأسطول الروم في غرب البحر الأبيض المتوسط، ومركز المقاومة لنشاط العرب البحري.

وقد أشاد الجغرافيون والرحالة العرب بهذا الموقع الممتاز لتلك الجزيرة لأنها: «قبالة إفريقية بالقرب من تونس، وبينها وبين صقلية بحري، ويوجد بها شجر المصطكي، ويجلب منها التين والقطن الكثير». وقد صمم موسى بن نصير سنة ٨٨ هـ / ٧٠٧ م على الاستيلاء على تلك الجزيرة الهامة، واتخاذها قاعدة أمامية لأسطولهم في صد هجمات الروم. وقد انتدب لتلك المهمة أحد قادته الأبطال وهو عبد الملك بن قطن الفهري، الذي خرج على رأس أسطول قوى من القاعدة البحرية الجديدة في تونس، واستولى على جزيرة قوسرة، وضمها إلى ولاية إفريقية<sup>(١)</sup>.

وتابع خلفاء موسى بن نصير سياسة الاحتفاظ بتلك الجزيرة في حيازتهم. ذلك أن الروم عمدوا إلى انتزاعها من أيدي الأسطول العربي خوفاً من قربها من قاعدتهم بصقلية. ومن ذلك أن حبيب بن أبي عبيدة الفهري سار إلى قوسره على رأس أسطول آخر سنة ١١٨ هـ / ٧٣٦ م، ودعم السيادة العربية بها. غير أن استيلاء العرب نهائياً على تلك الجزيرة كان سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٨ م حين أوفد الأمير عبد الرحمن بن حبيب الفهري حملة بحرية سيطرت تماماً

(١) حسن حسبي عبد الوهاب، قصة جزيرة قوسرة - المجلة التاريخية المصرية، أكتوبر ١٩٥٠.

على جزيرة قوصرة ، وجعلتها قاعدة دائمة للأسطول العربى فى غرب البحر الأبيض المتوسط<sup>(١)</sup> .

وسرعان ما ظهر نشاط الأسطول العربى من قاعدته الجديدة فى جزيرة قوصرة ، إذ خرجت سفنه تباعاً من تلك الجزيرة ، حيث أغارت على صقلية ، وأنزلت التخريب والتدمير بأسطول الروم الرامى فى مواهبها . وقد ساعدت تلك الحملات البحرية على دراسة شواطئ صقلية دراسة تامة ، وجعلت العرب على خبرة كبرى بقواعدها ، وخير الضرب للاستيلاء عليها . وظهرت نتائج حملات العرب البحرية التى خرجت من جزيرة قوصرة حين قامت أسرة الأغالة فى تونس ، إذ اتخذت من تلك الجزيرة قاعدة لتحقيق سياستها فى الاستيلاء على جزيرة صقلية ، وبعث نشاط بحرى عربى حافل فى غرب البحر الأبيض المتوسط .

## أسطول الأغالة

أظهر الأعداء العربى مدد سندهم فى سائر أقطاب نشاطهم حافلاً . أعاد إلى تلك التبعيد ما كانت له أهميته فى سائر أقطاب نشاطهم . ذلك أن البيئة الجغرافية رخصت لهم مكان شمال أفريقيا وبين البحر الأبيض المتوسط منذ أقدم عصورهم التاريخية ، وكان حصصهم على هناك وأوقفها للسكنى وأوفرها ماءً على مناطق الشريط الساحلى الذى يصل من تونس إلى المحيط الأطلسى ، وخفف ذلك الشريط الساحلى تقف جبال درن أو الأطلس التى جعلت أولئك السكان يتطلعون دائماً بأبصارهم إلى البحر ، ويربطون حياتهم به .

ولم تقف هبات الطبيعة لسكان بلاد المغرب عند توجيههم إلى البحر الأبيض المتوسط فحسب ، وإنما كفلت لهم أسباب ركوب هذا البحر وسيادته . فالمناطق الجبلية التى تقع خلف الشريط الساحلى حافلة بالأخشاب اللازمة لبناء السفن ، والتى وفرت عليهم غناء استيراد تلك المادة الخام على نحو ما قاماه غيرهم من سكان مناطق البحر الأبيض المتوسط . ولذا رأى العرب فى بلاد المغرب بيئة بحرية صالحة لا تقل أهمية عن الشام بمصر فى خدمه أساطيلهم .

وظهرت استفادة العرب التامة من المميزات الجغرافية لبلاد المغرب فى بناء أساطيلهم فى غرب البحر الأبيض المتوسط حين قامت الأسر المستقلة وشبه المستقلة فى الممتلكات العربية المطلة على ذلك الشطر الغربى من البحر

(١) حسن حسنى عبد الوهاب ، المرجع السالف .



وسارت سياسة اراهيم بن الأغلب وخلفائه من بعده على تدعيم أقدامهم في المدن الساحلية التي اشتهر أهلها بالشغب وحب الثورات . وانصف ابنه عبد الله الأول وزيادة الله الأول بالقسوة والحزم في تنفيذ تلك السياسة الخاصة بإخماد الفتن والفلاوق في المدن الساحلية ، حتى صارت البلاد تدبّن لهم بالطاعة <sup>(١)</sup> . واتجهت أسرة الاغالبية بعد ذلك إلى الاستفادة من المميزات البحرية لولايتهم ، وأعادوا إلى قاعدة تونس البحرية نشاطها وأهميتها .

وظهرت نتائج أعمال الأغالية البحرية على عهد زيادة الله الأول ، حيث صار له أسطول قوى من هوب الجانب . وقد اتخذ الأسطول الأعلى من صقلية ميديانا يعيد فيه قصة الفتوحات البحرية الكبرى التي حدثت زمن الأمويين على نهج معوية وخلفائه . وكان اتجاه الأسطول الأعلى إلى صقلية عملا منها لسياسة العرب البحرية الخاصة بسيادة البحر الأبيض المتوسط . ذلك أن جزيرة صقلية كانت هدفا لإغارات العرب البحرية منذ استقرارهم على شبه ايطالي ، لثراء موانئها ، ولأنها أساطيلهم لتدمر قواعد الروم فيها .

جاءت مصر في بحرية العربية في شمال أفريقيا ، والأساطيل تخرج من تونس ، ومن صقلية ، فتمتلك السيطرة على الإغارات البحرية على جزيرة صقلية . ولما كانت الإغارات المتكررة مدى إدراك العرب لخطورة قاعدة البحرية في صقلية وضرورة انتزاعها من أيديهم . ولم يبق أمام العرب غير نهج الفرص الموانئ لتحقيق حلمهم البحري القديم بالاستيلاء على صقلية ، واعتدوها قاعدة لأسطولهم .

(١) انظر ابن الأثير ، نفس المرحوم ، ج ٦ ، ص ١٢٣ ؛ ابن عذاري ، نفس المرحوم ،

الأيض المتوسط<sup>(١)</sup> . ونجم عن تلك الظاهرة أن سفوح الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية لم يترتب عليه أى تأثير فى سياسة العرب البحرية تجاه الشطر الغربى من البحر الأبيض المتوسط ، وإنما زاد النشاط البحرى العربى قوة وفتوة

وسبب ذلك أن اتحاد العباسيين عاصمه لهم في بغداد الثانية على نهر دجلة  
شجع ولاية المغرب على الاستقلال اذ اتفق بشتونهم عن الخلافة ، ثم الانفصال  
نهائيا فيما بعد عن السلطة المركزية في بغداد . وبعد أن لك الولاة إلى تدعيم  
سلطانهم بتقوية مركزهم الحربي ، ولا سيما بناء الأساطيل ، التي تعتبر العمود  
الفقرى لأية هيئة تريد الاحتفاظ بهيبتها في تلك الحوض البحري .

وتعتبر أسرة الخديوية عونا على تلك السياسة الاممية التي سادت كيان الدولة الإسلامية .  
الذين يهاجمون على هذه الظاهرة الجديدة من نشاط بحري قوي .  
الخليفة هارون .  
يده في تدعيم جميع .  
على الامكانات .  
فوجدهم في .  
له ولا .

(١١) ثم انهم لم يكتفوا بذلك بل ذهبوا الى اعلان استقلالهم عن الامم المتحدة وطلبوا الاعتراف بكونهم امة مستقلة. وقد تم ذلك في ١٩٧٠م. وطلبوا ايضا الاعتراف بكونهم امة مستقلة. وقد تم ذلك في ١٩٧٠م. وطلبوا ايضا الاعتراف بكونهم امة مستقلة. وقد تم ذلك في ١٩٧٠م.

وجاءت تلك الفرصة المواتية على عهد زيادة الله الأول الذي ذات له أرض المغرب بالطاعة والولاء ، والذي صار صاحب أسطول عظيم في مياه البحر الأبيض المتوسط الغربي . ذلك أن وإلى صقلية من قبل امبراطور الروم دأب على الإغارة على سواحل أفريقيا منها اشتغال الأغالة بتدعيم سلطانهم هناك . ومن ثم ما كاد زيادة الله الأول ينتهي من مشاكله الداخلية حتى عمد إلى الانتقام من حاكم صقلية العنيد

وساعدت أحوال صقلية إذ ذاك على تحقيق سياسة زيادة الله الأول ، ذلك أن نزاعا نشب بين امبراطور الروم ميخائيل الثاني وبين وإلى صقلية يوفيموس الذي سبق له الإغارة على شواطئ أفريقية . وعندما علم ذلك الوالي أن الامبراطور قد سار أسطولا للقبض عليه . فرأى إلى مرقوسة الواقعة على ساحل صقلية الشرق وأرسل يطلب النجدة والمساعدة من زيادة الله الأول (١) . وبذلك أتاحت الظروف للأسطول الأغالي التدخل في شئون تلك الجزيرة الهامة ، والتي تعد أكبر جزر البحر الأبيض المتوسط . وكانت جزيرة قوصرة التي سبق للعرب الاستيلاء عليها منذ ولاية موسى بن نصير قد صارت قاعدة أمامية هامة لأسطول الأغالة تجاه جزيرة صقلية . ومن ثم صار زحف الأسطول الأغالي ميسرا وآمنا ، فأعد زيادة الله الأول سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م أسطولا يتألف من مائة سفينة تحت إمرة أسد بن الفرات قاضي القيروان لفتح جزيرة صقلية ، تحت ستار مساعدة يوفيموس ، واليهما التآمر على امبراطور الروم .

وخرج الأسطول الأغالي يحمل نحو ١٠٠٠ مقاتل و ٧٠٠ فرس من ميناء سوسة . وبذلك بدأ الغزو العربي الحقيقي لجزيرة صقلية . وقد ألقى

(١) المكتبة الصقلية ، ج ٢ ص ٤٢٧ ، ٤٢٩ .

الأسطول مرصده عند مازن ثم تقدم نحو صيراء وألقى عليها الحصار . غير أن أسطولا الروم خرجت للنجدة تلك المدينة . وجعل الحصار العربي مهمة شاقة . أرسل أسد بن الفرات في المعسكرات ، ثم عيّن أسد بن الفرات القائد العام وعدد كبير من الجند

وكادت تلك الحملة المرصدة لشئون صيراء أن تندس ساقه الله من الأندلس إلى جزيرة صقلية . وذلك حقيقة دسست عن ظاهرة هامة ، وهي أن التعاون البحري بدأ بين أساطيل العرب وأساطيل الأندلس في تلك المرحلة الجديدة من نشاط العرب البحري في غرب البحر الأبيض المتوسط . غير أن هذا التعاون كان يعزز التنصير بسبب افتقار حكام الأسر العربية المستقلة للمدب والأندلس إلى الصانع والتضامن . ومهما يكن من أمر فإن وصول الأسطول الأندلسي أنقذ صيراء من الأغالة وقواتهم البحرية من المأزق الذي حل بهم (٢) .

ثم جاءت النجدة من تونس ، وساعدت الأسطول الأغالي على الاستيلاء على ديلرم ، أو بيارمو Palermo سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م بعد حصار دام عاماً (٣) . وقد هب أسطول ديلرم ، قاعدة هامة للأسطول العربي في صقلية ، بسبب ما تتمتع به من موقع استراتيجي ممتاز ، وكانت تلك المدينة في الأصل مستعمرة أنشأها الفينيقيون ، وظلت محتفظة بمكانتها العظيمة على مر العصور الطويلة . ولذا غدت ديلرم ، قاعدة بحرية تساعد القوافل العربية على تلقى الأمداد ، والزحف منها على سائر جزيرة صقلية .

وتابع الأغالة سياستهم البحرية تجاه صقلية برغم المتاعب التي

(١) ابن عذاري ، نفس المرجع ، ج ٢ ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) ابن الأثير ، نفس المرجع ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .









لمطاردة السفن الأندلسية . وقد أثر الأندلسيون الاستعانة بفرطية إلى حد ما . وفي سنة ٨٠٨ م عاد الأسطول الأندلسي إلى مهاجمة سفن في البحر المتوسط . وقد أصحبت السفن الأندلسية في خطر من إطلااق سراح الأسرى من أهل جنوة . وقد سجل الأسطول الأندلسي أول نصرة له في البحر المتوسط .

وفي سنة ٨٠٨ م عاد الأسطول الأندلسي إلى مهاجمة سفن في البحر المتوسط . وقد أصحبت السفن الأندلسية في خطر من إطلااق سراح الأسرى من أهل جنوة . وقد سجل الأسطول الأندلسي أول نصرة له في البحر المتوسط .

وبرغم مقاومة الأساطيل الفرنجية لهجعت الأندلسيون إلى الامراطور شرلمان رغب في عقد هدنة مع الإمارة الأموية بالأندلس . وفي سنة ٨١٠ م عقدت أول هدنة بين الفرنجة والأندلسيين . بعد ذلك بعامين مرة أخرى بين الأساطيل الأندلسية لم يغض الطرف عن قورسقة ، وعرفقة نشاط الفرنجة البحري بها ، فهاجم تلك الجزيرة سنة ٨١٣ م<sup>(١)</sup> ، على حين بعد ذلك أمير

(١) شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب ، ص ١٠٠ .

فرطية إلى حد ما . وفي سنة ٨٠٨ م عاد الأسطول الأندلسي إلى مهاجمة سفن في البحر المتوسط . وقد أصحبت السفن الأندلسية في خطر من إطلااق سراح الأسرى من أهل جنوة . وقد سجل الأسطول الأندلسي أول نصرة له في البحر المتوسط .

وفي سنة ٨٠٨ م عاد الأسطول الأندلسي إلى مهاجمة سفن في البحر المتوسط . وقد أصحبت السفن الأندلسية في خطر من إطلااق سراح الأسرى من أهل جنوة . وقد سجل الأسطول الأندلسي أول نصرة له في البحر المتوسط .

بعد ذلك ، خرج أمير الأندلس إلى البحر المتوسط . وقد سجل الأسطول الأندلسي أول نصرة له في البحر المتوسط .

وفي سنة ٨١٠ م عقدت أول هدنة بين الفرنجة والأندلسيين . بعد ذلك بعامين مرة أخرى بين الأساطيل الأندلسية لم يغض الطرف عن قورسقة ، وعرفقة نشاط الفرنجة البحري بها ، فهاجم تلك الجزيرة سنة ٨١٣ م<sup>(١)</sup> ، على حين بعد ذلك أمير



وقد ترتب على تلك الحادثة ازدياد الفتن في المنطقة  
فراكتنيوم . فبسط العرب سلطانه على هذه المنطقة  
وأدخلوا نيسر ( أونيقة ) في التبعية له . وفي سنة ١١٩٩ هـ  
بفضل التجارات البحرية والإمدادات التي كانت تأتيه  
إغاراتهم على المناطق الخلفية من حيث كانت تهاجمها  
الدول الأوربية إلى الاتصال خلفه . فكانت هذه الغارات  
المهادنة ، وكف اذى الإغارات العربية على هذه المناطق  
الناصر بقرطبة محط رحال سفارات أوروبا . وقد  
وتعلن إجلالها لسلطانه .

على أن أهم شيء خلفته البحرية الأندلسية في عصر الناصر  
المتوسط هو إظهار روح الفدائية والمغامرة المعروفة  
الحديث — عند العرب . ذلك أن كثيراً من هجمات العرب البحرية قامت  
من الأندلس بدافع من حب المغامرة والجهاد . أثبتت تنفيذ الأمر  
السلطات المركزية . وقد خلقت تلك الأحداث في الأندلس  
روحاً جديدة عند سكان البلاد العربية على السواء . إذ مع بدء عصر  
المتوسط . وكانت آية تلك الروح الجديدة هو اشتغال العرب في بلادهم  
صارت فيما بعد مراكز أمامية للأمتطول العربي . وقد  
وساعد على ازدهار تلك الروح البحرية الجديدة أمره . العرب في الدنيا  
بحب الجهاد في سبيل إعزاز الدين الإسلامي عند حرب المعركة . فكانت  
تكثر في مناطق أسبانيا الإسلامية المراكز الحربية التي امتلات بأعداد  
وافرة من المقاتلين الذين لا يريدون شيئاً سوى الجهاد في سبيل الله

في أقاصي أماكن  
خاصة به . فكانت هذه الغارات  
التي كانت تأتيه من  
التي كانت تأتيه من  
التي كانت تأتيه من

لذلك الإلهام  
تولوا هذه الغارات  
وإقادة هذه الغارات  
فريداً . فكانت هذه الغارات  
تكونت من هذه الغارات  
التي كانت تأتيه من  
التي كانت تأتيه من  
التي كانت تأتيه من



ذات يوم، أحد شوارع العاصمة، إذ هجم عليه الناس ورموه بالحصى وسط تصفيق الفقهاء وتشجيعهم. ثم تطور هذا السخط أخيراً إلى ثورة جارية سنة ٨١٤م حين حاصر الثوار الحكم في قصره وضيّقوا عليه الخناق.

غير أن حرم الحكم استطاعوا إخماد الفتنة والقبض على مدبريها. ثم إن السلطات عاملت أهل هذا الحى النازع بمنتهى الشدة والقسوة، فصلبت زعماءه الثلاثة، وطالبت بعد ذلك من سكانه جميعاً أن يبرحوه في مدى ثلاثة أيام. وأخذ سكان الرض يرحلون خارج الأندلس، حيث بادرت السلطات بتدمير جنهم. فلجأ ثمانية آلاف منهم إلى مراکش. على حين أصبح سائرهم يبيعونهم أو يبيعونهم بألف من خمسة عشر ألفاً - سيرهم إلى مصر، وكانوا يسمونهم "المهاجرون الذين حلوا بأرض مصر".

... إلى الإسكندرية ١١٩٩/٨١٤م،

... السكان فرصة الخلف

... وهيات هذه الأحوال

... را عليهم زعماء

... من الأندلسيون أصحاب

... حوز امتصر الخليفة المأمون

... سنة ٣٥٠م إلى مصر

## الفصل الخامس

### الاستطول العرب

...

... في كبرى

... صدى الشواهد

... في شرق البحر الأبيض

... وكانت أولى مظالم

... إقرضوا

... فقد

... ووجدوا

... العثمانيين

... و

... حكام

... تزعموا

... حلفاء

... الفقهاء

... هذا الحكم

... في إخماد الثورات الأهلية في مصر

... الأندلسيون. ولما أحس أولئك

... عمدوا معه صليحاً في ربيع الأول

سنة ٢١٢ هـ يونيو ٨٢٧ م تعهدوا فيه من بعدهم أن لا يروا  
بلمرض تابعة للخلافة العباسية ، وإنما يحطون بها من غير أن يعترفوا<sup>(١)</sup> .  
وقد اختار الأندلسيون الاستعزاز في إقرارهم بتبعية الجزيرة لبلادهم  
دائماً لهم .

وكانت جزيرة إقريطش تابعة لإد ذاتك لما دونه من جزيرة كريت على  
الاحتفاظ بها في قبضتهم بسبب ما تتمتع به من مكانة استراتيجية ، لا تكفل  
لأساطيلهم قاعدة ممتازة في القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، ذلك  
أن هذا القسم الشرقي يتصف بكثرة بحارة الفاطمية التي تسيطر على  
الجزيرة لسيطرتها على مسالكها الضيقة الجديدة ، وعلى هذه المصايف  
البحرية الواقعة بين الجزر مطمح أية قوة بحرية ، كما أن مطمحهم  
على مياه تلك البحار .

غير أن جزيرة إقريطش تمتعت ، كما انضمت إليها ، بقدر السيطرة  
من البحر الأبيض المتوسط ، ذلك أن الجزيرة كانت تحتل موقعاً هاماً  
من الجزر والبحار الداخلية السالفة يشبه حوض البحر الأبيض المتوسط .  
تمتد عبرها جزيرة كريت . وتقع مدخله إلى مصرين ناحية الجزائر في كل  
منهما . ومن ثم كان سادة كريت في العصور القديمة رجال بحار ممتازين ،  
أخضعوا لسلطانهم مياه البحر الأبيض المتوسط من رقة إلى بلاد اليونان  
إذ تحكّموا في السفن التي تمر عاب تلك المياه ، وقاضت حوزاتهم بالمال ،  
حتى أطلقوا على تلك الرقة من الماء اسم « البحر الذهبي »<sup>(٢)</sup> .

وتمتعت كريت إلى جانب موقعها الجغرافي الممتاز ، بمقومات أخرى

(١) الطبري ، نفس المرجع ، ج ١٠ ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(٢) Semple, op. cit. 74

جاءت سيادته على الجزيرة ، كما انضمت إليها ، بقدر السيطرة  
تخصت الجزيرة بموقعها الاستراتيجي ، كما انضمت إليها ، بقدر السيطرة  
البحرية الواقعة بين الجزر مطمح أية قوة بحرية ، كما أن مطمحهم  
أساطيلهم قاعدة ممتازة في القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، ذلك  
أن هذا القسم الشرقي يتصف بكثرة بحارة الفاطمية التي تسيطر على  
الجزيرة لسيطرتها على مسالكها الضيقة الجديدة ، وعلى هذه المصايف  
البحرية الواقعة بين الجزر مطمح أية قوة بحرية ، كما أن مطمحهم  
على مياه تلك البحار .

وكانت جزيرة إقريطش تابعة لإد ذاتك لما دونه من جزيرة كريت على  
الاحتفاظ بها في قبضتهم بسبب ما تتمتع به من مكانة استراتيجية ، لا تكفل  
لأساطيلهم قاعدة ممتازة في القسم الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، ذلك  
أن هذا القسم الشرقي يتصف بكثرة بحارة الفاطمية التي تسيطر على  
الجزيرة لسيطرتها على مسالكها الضيقة الجديدة ، وعلى هذه المصايف  
البحرية الواقعة بين الجزر مطمح أية قوة بحرية ، كما أن مطمحهم  
على مياه تلك البحار .

ويعتبر اختيار مهاجري الأندلس لجزيرة إقريطش مقراً لهم أمراً وللمجد  
الدراسة والتجربة . لأنهم عرفوا أثناء إقامتهم بالإسكندرية شيئاً عن  
الجزيرة وأحوالها . ذلك أن الأندلسيين لم يركنوا إلى الهدوء والدعة

(١) Semple, op cit. 639, 656

(٢) بافوت ، معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٦١ ، والبلاذري ، نفس المرجع ، ص ٢٤٥ .

إلى شاطئ إقريطش وتوغلوا داخل الجزيرة ، أمر بحرق السفن جميعها حتى يحملهم على التخلص من أية فكرة قد تعاورهم في الرجوع إلى الاسكندرية . وعندما عاد الأندلسيون من غزوتهم داخل الجزيرة ورواوا النار مشتعلة بالسفن ، ثارت ثائرتهم ، واتهموا زعمهم أنها حصن الجنون حين اعترف لهم بأنه هو الذي أمر بإحراقها . حين أن أبا حفص قبض سريعاً على ناصية الموقف وقال لهم : « لم تفكروا ، لقد حطت بكم إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً ، وهذا هو وطنكم الحقيقى ، أليسوا أنفسكم من غناء الشعب ، وانسوا وحشة وطنكم الأول (١) » .

وكان استقرار الأندلسيين أولاً بالقرب من خليج سودا ، حيث شيدوا لهم حصناً ، وأحاطوا مستعمرتهم بخندق محمى من هجوم مفاجئ . غير أن أحد رهبان جزيرة كريت دل أولئك الغزاة الجدد على مكان آخر أكثر ملائمة وصلاحيته في الجهة الشرقية من الجزيرة ، فأسسوا لهم هناك عاصمة أقاموا بها حصناً وأحاطوها بخندق كذلك . ومن هذا الخندق أخذت العاصمة اسمها والذي تعرف به اليوم وهو ( كانديا ) ( Candia ) (٢) . وهذه الظاهرة الخاصة بتأسيس حاضرة للأندلسيين في كريت تتفق مع سياسة العرب المسلمين في تدعيم فتوحاتهم ، إذ أسسوا من قبل القسطنطينية والقبرص وبنفس وغيرهما إبان فتوحاتهم الأولى ، وتجددت تلك الظاهرة مرة أخرى في جزيرة إقريطش ، التي غدت مقراً للأسطول العربى في شمال البحر الأبيض المتوسط .

ونقص هذه الحقيقة السالفة دليلاً يهدم ما ترددده المراجع الأوربية الحديثة عن وصف نزول العرب الأندلسيين بأرض إقريطش بأنه ضرب

Gibbon, op. cit. II, 820. (١)

Pinlay, op. cit. 136. (٢)

في الاسكندرية وإنما غنوا سفنهم فحاربوا على بحر الأبيض المتوسط لإرضاء ليوهم وزعمهم البحرية . وقد أغارت تلك السفن في أثناء تجوالها على إقريطش وعادت بها إلى الاسكندرية محملة بمنتجاتها ، وبالأجبار الرائعة عن ثراء تلك الجزر .

وتكررت إغارات العرب على جزيرة كنديا على إقريطش . حتى استطاعوا أخيراً سنة ٨٢٠ م أن يؤسسوا لهم مدينة هناك حول خليج ( Suda ) . وجعلوها عاصمة لجزيرة كنديا . ساعد الأندلسيين على تحقيق ذلك الهدف أمصارهم من صور وأريث وصيدون وصيدا (٣) .

إلى القضاء على الفرس في سنة ٨٢٠ م في آسيا الصغرى . حين إقريطش تحت رحمة أبا حفص زعيم الأندلسيين في كنديا . وقد وردت المدينة بعد اتفاقية مع العرب .

وقد حوى هذا الكتاب على ما ورد في المصادر العربية من أخبار العرب في جزيرة كنديا . فاصدره في سنة ١٩٥٠ م .

والله اعلم بالصواب .

مؤلف الكتاب

١٩٥٠ م

١٩٥٠ م





سوف يستسلمون في صباح اليوم التالي . ولكن يبدو أن انسحاب القوات العربية كان خطة مرسومة ، إذ جمعوا صفوفهم أثناء الليل ، وتسللوا إلى الساحل ، واستولوا على أسطول الروم الراسي هناك ، ثم فاجأوا معسكر الروم ، وقلبوا مروح جنوده وجنودهم الذي كانوا يقضون به أمسياتهم إلى أنيل وجراح مخنقة . غير أن أمير البحر كراتيروس تنكر ، وتمكن من الحرب على ظهر سفينة تجارية حملته إلى جزيرة كوس ( Cos ) بالقرب من إقريطش ، ولكن رجال الأسطول العربي ، أدركوا تلك الخدعة ، وسارعوا إلى مطاردة تلك الشخصية الخطيرة في ميدان العمليات البحرية ، وقبضوا عليه بجزيرة كوس . ثم نقلوه إلى إقريطش حيث أعدم<sup>(١)</sup> .

وهكذا أنزل الأسطول العربي من قاعدته الجديدة في إقريطش هزيمتين ساحقتين لشخصيتين من أعظم أمراء البحار في دولة الروم ، كما أطاح بحملتين بحريتين ، كرست لهما سلطات الروم الشيء الكثير من جهودها وماليتها . وفضلا عن ذلك فإن هذا الفوز البحري العربي ضمن استقرار إقريطش قاعدة للاستعول . وحمل الروم على التخلي عن مشاريعهم لاستردادها . ففقت دولة الروم بأن تكرر نشاط أساطيل إقريطش العربية ، لها من جزر في بحر إيجه ، وتدفع عنها بأس أساطيل إقريطش العربية ، التي بدأت تبسط نفوذها على تلك الجزر المجاورة . ومن ذلك أن الإمبراطور ميخائيل الثاني أعد أسطولاً عظيماً من أجل أن يرد ذلك ، كما أنفق عليه بسخاء لسطيع . . . . . من جهة . . . . . هذا الأسطول استعداداً لبعض الجزر . . . . . في أتمية لإدخال بعض<sup>(٢)</sup> . ولكن لم يكتب له الفوز

وترتب على تلك الأوضاع الخاصة بضعف أسطول الروم تطور في سياسة الأسطول العربي المقيم بإقريطش ، إذ انقلب من الدفاع إلى الهجوم وإعلاء راية البحرية العربية مرة أخرى في شرق البحر الأبيض المتوسط . وعاصر هذا النشاط البحري الهجومى عهد الخليفة المعتصم العباسي ، صاحب الجولات الحربية مع الإمبراطور ثيوفيل ( ٨٢٩ - ٨٤٣ ) ، والتي كان أشهرها فتح عمورية . إذ بدأت أساطيل إقريطش المظفرة تهاجم أساطيل الروم في جزر بحر إيجه ، وتطاردها في كل مكان . ومن ذلك أن أساطيل إقريطش نالت نصراً مبنياً على أسطول الإمبراطور ثيوفيل بالقرب من جزيرة ثاسوس ( Thasos ) ، ثم تابعت نشاطها تدريجياً حتى بلغت إغاراتها في أواخر عهد هذا الإمبراطور إلى سواحل آسيا الصغرى نفسها سنة ٨٤١ م<sup>(١)</sup> .

وأثبتت عرب إقريطش في تلك المرحلة من نشاطهم البحري فهمها للاحوال الداخلية لدولة الروم ، والإفادة منها في نضالهم . ومن ذلك ما حدث سنة ٨٤٣ م ، إذ أعد أحد القادة الروم عن يتولون منصب الوصاية على الإمبراطور ميخائيل الثالث حملة للهجوم على إقريطش يبتغى بها لنفسه الشهرة والمجد ، لأن تلك الجزيرة صارت شجى في حلق الروم ، وسبيلا يتعلل الطامعون في السلطان إلى استغلاله لتحقيق مآربه . ونجح هذا القائد ويدعى ثيوكستوس ( Theokostos ) في مهاجمة الخندق عاصمة إقريطش والقضاء حصار شديد عليها بأساطيله . . . . . ولكن عرب إقريطش حملوه على رفع هذا الحصار والقضاء على خطته . . . . . مما سمح بسبب غيبة الأسطول العربي في جزر

بحر إيجة . إذ دبرت سلطات إقريطش خدعة أشاعوها بين جنود الروم مستهدين وصولها إلى قائدهم ثيوكستوس ، وذلك أنهم رشوا بعض ضباط الروم على أن يرددوا بين القوات وبحارته المحاصرين في القصد في شائعة مؤداها أن الإمبراطورة الأم ، الوصية على ميخائيل الثالث رفضت أحد الغداة من منافسي ثيوكستوس إلى مرتبة شريكها في مجلس القصد وأبعدته بذلك عن ميدان النفوذ والسلطان . وما أن بلغت تلك التهمة سامع ثيوكستوس حتى أسرع عائدًا إلى القسطنطينية تاركًا جيشه وأسرته في رحمة العرب إقريطش<sup>(١)</sup> . واستطاعت قوات إقريطش هزيمة أسطول الروم وتدمير قواته ، واستردت مكائنها وسيطرتها على قواعد الروم البحرية .

وفي سنة ٨٦٠م انتهز أسطول إقريطش انشغال سلطات القسطنطينية بالدفاع عن مدينتهم إزاء إغارة مفاجئة شنتها جماعات الروس ، وهاجم جزر سيكلاديس ( Cyclades ) وشواطئ آسيا الصغرى وعاد بغنائم وافرة . وكان امتداد نشاط أسطول إقريطش إلى شواطئ آسيا الصغرى يسير وفق خطة مرسومة ، إذ كانت القواعد البحرية في هذا الشاطئ مراكز يجمع فيها سفن الروم ويخدم التي تبغى الهجوم على جزيرة إقريطش . ولذا نجحت هجمات أسطول إقريطش في نشر القوضى في تلك القواعد البحرية ، وتحطيم تحصينات الروم في جزيرة نيون Neon سنة ٨٦٦م<sup>(٢)</sup> . وبذلك عادت مراكز أساطيل إقريطش ماثرة فزع وقلق في دولة الروم .

Bury, Roman Empire, 291-292. (١)  
Vasiliev, op cit. 212-213. (٢)

واتضح من الأحداث الداخلية لتلك الدولة في هذه الفترة من نشاط العرب البحري أن قادة الروم لم يكونوا جادين في إعداد الحملات البحرية التي بعثوا بها لإخراج العرب من إقريطش واقعاء في يد أسطول العرب بها . إذ غدت أعمال تلك الخدم من إقريطش أضعف وأضعف وأخفوا وراءه أطماعهم السياسية . ومما ساعد على ذلك ضعف الدولة البيزنطية في تلك الفترة البحرية التي أعدها لصد الغارات العربية .

أخذت القصد والامنية في بلد الروم تحت أعمالها بجلاء أثناء الاستعدادات البحرية لرد وإقريطش . وقد انعكس الوضع السياسي في القسطنطينية يتلخص إذ ذاك في أن مجلس الوصاية على الإمبراطور ميخائيل الثالث قد تقلص وتلاشى بسبب انفراد قائد يدعى برداس ، وهو أخو الإمبراطورة الأم الوصية ، بالسلطة والهيمنة على شئون الدولة . وساعد برداس على تحقيق مطامحه خلو الإمبراطور القاصر ميخائيل من كل صفات تؤهله لتصبه العظيم ، إذ اهتم بالملهي فقط وحفلات السباق ومصارعة القواد والإدمان على الخمر ، وهو في هذا السن الصغير ، حتى منحه التاريخ لقب ميخائيل الصغير . واتخذت أساطيل إقريطش من تلك القوضى الضاربة في بلاط القسطنطينية فرصة لتوسيع دائرة نشاطها . غير أن برداس خشي انقلاب شعور سكان دولته عليه بسبب تلك الإغارات البحرية ، وصمم على أن يدعم جيشه . وما وصل إليه من نفوذ في الدولة بإعداد حملة لإخراج العرب من إقريطش على أن أحداث البلاط البيزنطي جرت إذ ذاك بما لا يهوى برداس ، إذ أن الإمبراطور الصغير أظهر ضجره من خاله برداس ، وأخذ يعمل على إبعاده من الدولة . وكان للإمبراطور تابع أرمني الأصل مقدوني المسمى

باسل ، اتفق معه على اغتيال برداس<sup>(١)</sup>

وسمحت الفرصة لتنفيذ المؤامرة حين خرج برداس إلى آسيا الصغرى لبعث أساطيل الروم للهجوم على إقريطش . ذلك أن الإمبراطور خرج ومعه تابعه باسل إلى آسيا الصغرى لتوديع برداس قبل قيامه بالذهاب إلى إقريطش . وهناك ظل الإمبراطور فترة طويلة لا يسمح لبرداس بالرحيل ، رغم انتهاء الاستعدادات البحرية والحرية . ولما استبطأ برداس الحصول على أمر الإمبراطور ذهب لمقابلته واستنذانه في القيام بالحملة . وفي هذه المقابلة تم ارتكاب الجريمة التي بيثها الإمبراطور مع تابعه باسل ، إذ هجم الحرس الإمبراطوري على برداس وقطعوه إرباً<sup>(٢)</sup>

وترتب على تلك المؤامرة انهيار تلك الحملة البحرية الكبرى للهجوم على إقريطش ، التي ظلت طوال القرن التاسع الميلادي الصخرة التي تحطمت عليها كل مجهودات الروم ، وما حشدته لها سلطات القسطنطينية من أساطيل وعتاد . وقد اضطرت دولة الروم إلى خطب ود حكام إقريطش العرب بعد أن تبين لهم ما هم عليه من قوة وبأس ، واعتمدت في ذلك على الوسائل السلية ، حيث تجلّى ذلك في رسالة ودية بعث بها بطريق القسطنطينية نيقولا ميستيكوس في أوائل القرن العاشر الميلادي إلى حاكم إقريطش جاء فيها ما يأتي : « إلى الأجداد الأشرار الأتراك : أمير جزيرة إقريطش ، إن أعظم قوى العالم أجمع . قوة العرب وقوتهم ، نحن وإن وتآلفنا ، كالشمس والقمري في السماء ، ولهذا وحده يجب أن نسير على الرغم من اختلافنا في الطوائف والعبادات والدين »<sup>(٣)</sup>

Finlay, op. cit, 172-173 (١)

ib'd, 193 (٢)

Vasiliev, L'Empire Byzantine I, 405 (٣)

## تدعيم القوات البحرية

في مصر والشام

ترتب على نشاط الأسطول العربي في إقريطش ، ومحاولات الروم المتكررة للحد من نشاط هذا الأسطول اهتمام السلطات العباسية في بغداد بتدعيم قواعدها البحرية في مصر والشام . ذلك أن سلطات الروم البحرية وجدت نفسها مضطرة أثناء نضالها مع أسطول إقريطش إلى القيام بإغارة كبرى مفاجئة على مدينة دمياط . ففي سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م أقلعت بعض سفن من أسطول الروم إلى الشواطئ المصرية وصبت جام غضبها من نشاط أسطول إقريطش على مدينة دمياط .

وكان الهدف من تلك الإغارة هو قطع الاتصال والمعونة البحرية التي قامت بين مصر وإقريطش ، والتي غدت خطراً جسيماً يهدد قواعد الروم البحرية في آسيا الصغرى . وحدثت تلك الإغارة في عهد الخليفة المتوكل العباسي (٨٤٧ - ٨٦١ م / ٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) ووالى مصر إذ ذاك هو عتبسة ابن اسحق . وكانت عدة أسطول الروم الذي هجم على دمياط ثلاثمائة سفينة ، على كل مائة منها أمير بحر يتولى قيادتها . واضطلع أمير البحر الذي تولى القسم الثاني من أسطول الروم ، وهو الذي يسمى في المراجع العربية « بابن قطوانة » ، بالهجوم على دمياط<sup>(١)</sup> ، على حين قام القسم الآخران من أسطول الروم بحماية ظهر قسمهم الأول .

(١) الطبري ، نفس المرحوم ، ج ١١ ص ٤٨ .

ويبدل اليوم الذي حدد للهجوم على دمياط ، وهو ١٠ ذى الحجة سنة ٢٣٨ / ٢٢ مايو سنة ٨٥٣ م على انتهاز الروم والعرب لكل فرصة مواتية لنيل بعضهم من بعض ، جريا على السياسة التي سادت علاقتهما البحرية في تلك الفترة من النضال . فقد صادف يوم إغارة أسطول الروم على دمياط أول أيام عيد الأضحى ، والمدينة خلو من حاميتها التي استدعاها التوالى عنبة ابن اسحق للاشتراك في عرض حربي ، رغب في أن يجعله أكبر عرض حربي يمكن . ولا يقبل أن يحضر الصدقة أو اتفاق الأحداث هي التي جعلت أسطول الروم يهجم على دمياط وهي عارية من رباطها المدافع عنها .

ومهما يكن من أمر فإن موقع دمياط سهل على الروم العبث والتخريب فيها على نحو كبير . فدمياط العصور الوسطى تختلف عن دمياط الحالية التي تقع على الضفة التي لمصب فرع دمياط ، على بعد اثني عشر كيلو متراً من البحر الأبيض المتوسط . ويفصلها عن بحيرة المنزلة شريط أرضي اتساعه كيلو متر واحد . ولكن يستدل من أقوال الجغرافيين العرب في العصور الوسطى أن دمياط كانت تقع على قطعة من الأرض مستطيلة تمتد بين مصب فرع دمياط والبحر الأبيض المتوسط <sup>(١)</sup> ، كما أن الشريط الأرضي الذي يفصلها عن بحيرة المنزلة كان من ضيق المسافة بدرجة جعلت مياه الفيضان تغمره وتغمره حتى يبدو دمياط كأنها جزيرة منعزلة في الماء <sup>(٢)</sup> .

وقد اتخذ ابن بطوطة بحيرة المنزلة ميدانا لبدء إغاراته البحرية ، وهاجم دمياط بسفنه التي كانت تقل خمسة آلاف رجل تقريباً . ففرع أهل المدينة

لهذا الهجوم المفاجئ . وروى سكانها عن العرب والمخاضات التي كانت تفصل المدينة عن الأرض النجعة بها . وذكر على ما يبدو أنهم في تلك المحاولة على حين أجمع الروم . للمدينة البحرية . والتهب والسلب <sup>(١)</sup> . وعما يشهد من أن الروم قد استولوا على دمياط ، فقد صعدت أوسع من السلب الذي حارب منه الأعمام في القسطنطينية . وروى أنها كانت جزءاً من سياسة الروم لإزاء أسطول غريغورس . أو حشد الروم استولوا على مؤن وذخيره في دمياط . كانت معدة للشحن وإرسالها إلى غريغورس ، ثم أحرقوا أشعة السفن المسكدة في المخازن البحرية بدمياط وقبضوا على ستين شخصاً حملهم أسرى .

وبعد أن قضى أسطول الروم يومين في حصار دمياط ونهبها أفلح في ٢٤ مايو محملاً بالغنائم ، وسار شرقاً لمهاجمة تنيس ، وهي جزيرة في بحيرة المنزلة التي تقع بين الفرما ودمياط . ولكن التيار أفسد خطة الروم الذين تخلوا عن متابعة السير نحوها خشية أن يتجنح سفنهم إلى الرمال . ومن ثم اتجهوا إلى أشتوم التي لا تبعد كثيراً عن تنيس ، وكانت مركزاً حصيناً له سور به أبواب حديدية . فافتحم الروم ذلك الحصن وأحرقوا ما كان به من الآلات الحربية ، ثم اقتحموا الأبواب الحديدية وأبحروا إلى بلادهم قبل أن تصل الإمدادات إلى مدينة دمياط من داخل البلاد <sup>(٢)</sup> .

وقد ترتب على تلك الإغارة المخربة الواسعة النطاق اهتمام السلطات المصرية بتدعيم قواعدهما البحرية وتقوية الأسطول فيها . واتجهت حكومة

(١) الطبري ، نفس المرجع ج ١١ ص ٤٨ .

(٢) نفس المرجع ج ١١ ص ٤٨ .

(١) باقوت ، ج ٤ ص ٨٥ ، ٨٦ ؛ ابن حوقل ، كتاب المسالك

The Itinerary of Bernard the wise, 6. (٢)

المصريين إلى الأسطول خاصة ، وأقبلوا على العمل به ، وغدا البحارة موضع التقدير والرعاية . فيروى المقرئى أنه : « وقع الاهتمام من ذلك الوقت بأمر الأسطول وصار من أهم ما يعمل بمصر ، وأنشئت الشوانى بسبب الأسطول ، وجعلت الأرزاق لغزاة البحر كما هى لغزاة البر ، وانتدب الأمراء له الرماة ، فاجتهد الناس بمصر فى تعليم أولادهم الرماية وجميع أنواع الحاربة ، وانتخب له القواد العارفون بمحاربة العدو . وكان لا ينزل فى رجال الأسطول غشيم ولا جاهل بأمور الحرب . » (١)

ولم تلبث الأحداث في مصر أن ساعدت على تقوية هذا الاتجاه البحري الذي ظهر في عهد ولاية عنبة بن اسحق . ذلك أن الأحوال السياسية في مصر دخلت بعد انتهاء حكم ذلك الوالي سنة ٢٤٢ هـ ٨٥٦ م في دور من الانفصال عن السلطة المركزية في بغداد ، وقيام ولاية مستقلين بشئون مصر ولا يعترفون بسلطان الخلافة العباسية إلا اسمياً . وكان أول أولئك الولاة الجدد هو احمد بن صديق الذي - في شئون مصر - سنة ٢٥٠ هـ ٨٦٨ م

ويأمر هذا الوزير بالاحتياط في كل ما يتعلق بالبحر من جهة محاولات  
الخلافة العباسية لا سيما في هذه المناطق التي هي في أيديهم أحمد بن  
طولون في سبيل نشاته من جهة الاحتياط في كل ما يتعلق بالبحر من جهة  
أحد أركان قوة البلاد من جهة الاحتياط في كل ما يتعلق بالبحر من جهة  
تصنع بها السفن من جهة الاحتياط في كل ما يتعلق بالبحر من جهة  
والاسكندرية وغيرها من جهة الاحتياط في كل ما يتعلق بالبحر من جهة

المقریزی أن ابن طولون « بنی أسطولا یتألف من مائة منكب جریة  
سوی ما یضاف إليها .... من قوارب الخدمة. » (۱)

واهتم أحمد ابن طولون في نفس الوقت بأمور الشام ، نتيجة سياسته الخاصة بالدفاع عن سلالته في مصر . ذلك أن الخلافة العباسية اتخذت من إقليم الشام وحكامه سيلا لإعداد المؤامرات ضد أحمد بن طولون والعمل على إخراجهم من مصر . ومن ثم اتهم أحمد بن طولون وفاة حاكم الشام سنة ٨٧٧م واحتل هذا الإقليم دون أن يلقى مقاومة كبيرة ، وصارت مصر والشام مرة أخرى وحدة واحدة في ميدان النشاط البحري في شرق البحر الأبيض المتوسط .

وكانت آية هذا النشاط البحري الجديد اهتمام أحمد بن طولون بقواعد الشام البحرية ، التي سبق أن دب الانحلال إليها بسبب انصراف الخلافة العباسية القائمة في بغداد عن شواطئ البحر الأبيض المتوسط التابعة لها . فجدد حصون وأسوار عكا<sup>(٢)</sup> وغيرها من موانئ الشام ، وصارت وحدات أسطوله تجدد لها في تلك الموانئ قواعد بحرية للدفاع والزود عن سلطان أسرته في مصر . والمساهمة كذلك في النشاط البحري الذي اضطلع به إذذاك أسطول إقريطس .

وبدأ الأسطول المصري نشاطه من قواعده بالشام ، وهجم على جزر بحر  
إيجة التي تجمعت بها أساطيل الروم ، وكذلك مدن اليونان البحرية التي دأبت  
سفن الروم على الاحتباء بها إذا ما اضطرت إلى الفرار . ولم تلبث الخلافة  
العباسية أن لجأت إلى أحمد بن طولون برغم كراهيتها له ، ليدافع عن حدود

(١) المقریزی، المخطوط، ج ٢، ص ١٨٠.

(٢٢) المقدسي، حسن التقاسيم، ص ١٦٣.



بلادها المجاورة للروم . فأضاف الخليفة العباسي إلى وديعة أحمد بن طولون إمارة منطقة العواصم والثغور التي تضم المنافذ والممرات التي تصل بين شمال الشام وآسيا الصغرى لمنع هجمات الروم على شمال العراق (١).

واستفاد أحمد بن طولون كثيراً من هذا التصور في علاقات الخلافة العباسية معه ، ورأى في ذلك فرصة للاعلاء من شأن أسطولوله الحربى في قواعد الشام . إذ نقل بعض وحدات ذلك الأسطول إلى طرسوس في أقصى الشمال ، وجعلها قاعدة حربية تخرج منها السفن لشد أزر القوات البرية التي تهاجم معاقل الروم في آسيا الصغرى (٢) . وآتت سياسة أحمد ابن طولون البحرية غايتها حين اضطر إمبراطور الروم إلى مهادنته ، حيث أرسل له سنة ٨٢٦هـ / ٨٧٨م وفداً يطلب عقد الصلح بين الدولتين ، كما جاء مع وفد الروم أحد حكام منطقة الثغور العرب ، ممن وقع أسيراً في أيدي الروم ، عنواناً على رغبة الإمبراطور في كسب ود أحمد بن طولون (٣).

غير أن تلك العلاقات الودية لم تدم طويلاً بين أحمد بن طولون والروم ، واستأنف الفريقان الإغارة على بلد كل منهما . وكانت قاعدة طرسوس ذات أهمية كبرى في أحداث الصراع ، ذلك أن قربها من شواطئ آسيا الصغرى ساعد الأسطول العربى على الإغارة على قواعد الروم البحرية . كما ولى القومى في أرجائها . ومن ذلك أن أمير طرسوس شن سنة ٨٨١م غارة بحرية على جنوب آسيا الصغرى ، وتوغل في بحر إيجه حتى اقرب من الدردنيل (٤).

(١) ابن الأثير ، نفس المرجع ، ج ٧ ، ص ١١٠ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ١١٧ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ص ١٢١ ، ١٢٢ . Runciman, op. cit. 123.

وانتهز الأسطول العربى بإقريطش ذلك النشاط الذى قام به الأسطول الطولونى ، وقامت إحدى وحداته وتتكون من سبع عشرة سفينة ، فضلاً عن عدد صغير آخر من المراكب بهجوم على إقريطش ، فخاطف على البسفور (١) . على أن التعاون البحرى بين أسطول الاساطيل فى الشام وأسطول إقريطش ظل يقتصر إلى القسطنطينية فقط . كما جاءت أحداث كل من الأسطولين على نحو أشبه بنشاط أساطيل الاندلس فى بلاد المغرب فى غرب البحر الأبيض المتوسط .

وعند ما توفي أحمد بن طولون ترك لاسد أسطولا بلغت جميع سفنه الصغيرة والكبيرة وكذلك التجارية منها نحو ألف قطعة (٢) . واستطاع أسطول الطولونيين برغم المتاعب العديدة التي صادفتها الأسرة فى الداخل أن يحصد من شوكة إغارات الروم البحرية التي أخذت تزداد حدة بسبب ضعف خلافة العباسية إذ ذاك فى بغداد . ومن ذلك أن أحد أمراء البحار الروم ويدعى هيميريوس (Himerius) دأب على قطع أسباب الاتصال بين أسطول طرسوس وإقريطش ، وبث الرعب فى مدن الشام الساحلية . وكانت مدينة سالونيك ببلاد اليونان قاعدة أعمال أسطول الروم لأنها تمتعت بموقع جغرافى فريد . جعلها فى مأمن من حركات الأساطيل العربية . فضلاً عن ذلك كان لتلك القاعدة ميناء كبير يتسع لعدد عظيم من السفن ومجهز بأحسن الوسائل لإمدادها بالقوات المجاورة . ومن تلك استطاع أمير البحر على أسطول الروم استغلال تلك القاعدة الآمنة لتجديد تخطيطه فى شل التعاون بين سفن إقريطش والأسطول الطولونى .

(١) Finally, op. cit. II, 250

(٢) ابن يابر ، بدائع الزهور ، ج ١ ، ص ٤٠ .

ولكن في سنة ٩٠٤ م قامت حملة بحرية تتألف من أساطيل الشام ومصر وإفريطش بمفاجأة قاعدة الروم الحصينة في سالونيك. وكان لبحارة الأسطول المصري أكبر الأثر في إقتحام معاقل قاعدة الروم. ذلك أن أسوار سالونيك البحرية كانت عالية ومزودة بكافة آلات الحرب من المجانيق القوية وغيرها من الأسلحة التي تقذف النار البحرية، ولكن السفن المصرية استطاعت الاقتراب من أسوار سالونيك، وهيأت لبحارتها فرصة تسليق تلك الأسوار، ثم الاندفاع داخل المدينة وفتح أبوابها لسفن الأساطيل الأخرى.

ووقعت بحامية سالونيك أسيرة الأساطيل العربية، وفقدت عدداً كبيراً من رجالها. وظلت بحارة تلك الأساطيل عشرة أيام في المدينة يدمرون استعداداتها الحربية وما بها من معدات بحرية، حتى جعلوها عاجزة عن أن تمد أسطول الروم بما يحتاجه من عتاد. وعادت بعد ذلك الأساطيل مجتمعة إلى إفريطش حيث أقيمت الفنائم، ثم رجعت أساطيل الشام ومصر المؤتلفة إلى قواعدهما بطرسوس والاسكندرية (١).

غير أن النشاط البحري العربي في شرق البحر الأبيض المتوسط لم يلبث أن وقف فجأة، ولكن لفترة قصيرة بسبب تحسده الصراخ بين الخلافة العباسية والبيت الطولوني على الاستيلاء على مصر. وجنب هذا التنافس أضرار بالغة على قواعد الأسطول المصري، لأن الخلافة العباسية لجأت إلى أساليب الدس، والاستعانة ببعض ولاة مدن الشام لتزريق ممتلكات الطولونيين بالشام، وانتهى الأمر بأن نجحت الخلافة العباسية في الإطاحة

بأسرة الطولونيين، التي لم تعمر غير سبعة وثلاثين عاماً، أسهمت فيها - برغم قصرها في حياة الدول - في نشاط الأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط. وبما زاد الحالة سوءاً النسبة للأسطول العربي في شرق البحر الأبيض المتوسط أن الخلافة العباسية لم تستطع تدعيم أقدامها في مصر، إذ عمد أحد ولاتها وهو محمد بن طحج الأخشيدي إلى الانفصال عن السلطة المركزية في بغداد، كما فعل ذلك من قبل أحمد بن طولون، وأسس لنفسه أسرة عرفت بالدولة الأخشيدي في مصر، من سنة ٣٢٣ - ٣٥٨ هـ / ٩٣٥ - ٩٦٩ م. وقد حاولت الدولة الإخشيدية السير على نهج أسرة الطولونيين في تقوية الأسطول المصري وتدعيم قواعده، والاهتمام بتأسيس دور الصناعات لبناء السفن الحربية. ولكن مجهودات تلك الأسرة الإخشيدية عجزت عن بعث النشاط البحري العربي في شرق البحر الأبيض المتوسط بسبب ضياع قوة حكامها في الدفاع عن مصالحهم الخاصة ضد أطاع الخلافة العباسية. انتهى الأمر بنوال تلك الأسرة سريعاً دون أن تعمر طويلاً، وظلت حركات الأسطول العربي في مياه ذلك الشطر من البحر الأبيض المتوسط تقتصر على بناء الدولة الفاطمية بمصر.









حلهم القديم الخاص ببناء إمبراطورية لهم في البحر الأبيض المتوسط ،  
وانتزع زعامة العالم الإسلامي من الخلافة العباسية ذات العداء التقليدي لهم .

ب - في شرق البحر الأبيض المتوسط :

جذبت انتصارات الأسطول الفاطمي في غرب البحر الأبيض المتوسط  
أنظار القوى العربية في شرق هذا البحر إلى قوة الفاطميين تطلب معونتها  
ومساعدتها . ذلك أن الخلافة العباسية قد بلغت في تلك الفترة درجة  
من الضعف الداخلي جعلها لا تستطيع الدفاع عن أراضيها والبلاد التابعة لها .  
وكانت قد فقدت من تحتها عن العباسيين والتجأ إلى الفاطميين يستنجد  
بهم في وجه أعدائهم .

في سنة ٩٠٩ هـ ، استولى الفاطميون على مبلغ الركود الذي حل  
في البحر المتوسط ، وضرورة الاتجاه  
إلى البحر المتوسط . ذلك أن  
الفاطميين لم يكن إلا حزاماً من خطه بحرية كبرى  
في البحر الأبيض المتوسط ، وكسر  
شبكة العلاقات التي كانت تتوحد .

الفاطميين ، وأخذوا ينظمون شئونهم البحرية بما  
يحقق لهم السيادة على البحر الأبيض المتوسط . وجاءت إفاقة الروم لهذا البحر  
في وقت من أوقاتهم ، والأسرة المقدونية التي عرفت بتقديرها للقوة البحرية  
وحرصها على بناء الأساطيل . كانت تلك الأسرة المقدونية خبيرة باتقاء  
القادة المميزين ، بل إنفاذ الدولة وإعلام شأنها ، فضلاً عن خبرتها  
بشؤون البحر . تلك الأسرة إبان ضعف الخلافة العباسية

اثنان من الأباطرة الذين ارتبطت بسيرتهما وحبائهما صحوة الروم البحرية ونشاط أساطيلهم ، وهما الإمبراطور ليو السادس ( ٨٧٠ - ٨٨٦ م ) والإمبراطور رومانوس الثاني ( ٩٥٩ - ٩٦٣ م ) .

وكانت آية صحوة الروم بناء أسطول بحري على عهد الإمبراطور ، وتنظيم القواعد البحرية كذلك على شواطيء البحر ومخافة أعداء الروم من الصغرى وشواطيء اليونان (١) . ولم يعد ينتظر الأعداء القادة الحريين الأكفاء ، الذين ظهروا فعلا على عهد الإمبراطور رومانوس الثاني ، وكان من أعظمهم نفقور فوقاس ، الذي اغتصب العرش بعده بعد ، والذي حارب الأسطول الفاطمي في جزيرة صقلية .

واكتسب القائد نفقور شهرته بحسن تدبيره لقوة الروم البحرية ، وتوجيهها ضد معاقل الأسطول العربي في إقريطش وسواحل الشام . وفي الفترة التي كان فيها أسطول الفاطميين زمن الخليفة المعز يدافع عن شواطئ شمال أفريقيا ضد إغارات الأمويين الأندلسيين عليها أخذت قوة الروم البحرية تهدد جزيرة إقريطش . وأمام ضعف الخلافة العباسية بعث أهالي إقريطش إلى المعز يسألونه النجدة ضد تهديدات الروم . وتحدث رسول إقريطش إلى الخليفة المعز عن الوضع البحري العربي في ترمز البحر الأبيض المتوسط ، وأخبروه أن ضياع جزيرتهم يؤدي إلى ازدياد قوة الروم البحرية ، واستطاعتها السيطرة بعد ذلك على قواعد الأسطول العربي في الشام ومصر . ثم أوضح رسول إقريطش كذلك أن مجيء الأسطول الفاطمي إليهم ينجح

له قاعدة قريبة من القسطنطينية تابعة لروم الشام . مركز أجيى للفاطميين . السيادة البحرية الخاصة

ويبدو أن سياسة الروم في البحر الأبيض المتوسط وقوة الروم البحرية في عهد الإمبراطور ليو السادس كانت تهدف إلى احتفاظ بسوته البحرية في تلك الفترة . وقد كان المعز يفرطش لعدم استجاده . به معاهدة مع الروم ، وبما أنهم لم يكونوا قد أخذت قوة الروم ، ولم يستطع إلا مع ذلك المساعدة في ذلك . وقتئذ من الزمان (٢)

وفي نفس الوقت انقضى المعز بالاحتياط في مصر بطلب منهم إعداد أسطول يسير مع سفن الفاطميين ضد إقريطش . وكانت الدولة الإخشيدية تدبر إسما بالتعبئة للخلافة العباسية . كما جعل المعز بين لكفور الذي آلت إليه الوصاية . ذلك على أولاد الإخشيد . أنه لا يستهدف إلا نصرة رجال إقريطش . أن أسطول مصر مبعوث عن قوة المساواة مع أسطول الفاطميين . جاء في حصان المعز إلى كافور .

« ولا تخش علي من ذلك منا ، ذلك علي عهدنا ، وميثاقه أنا لا نكون معهم ولا يسير بحرية . في حالهم نحن . نحن أيدهم مع أيدنا ، ونشركهم فيما أمروا . ونسبهم في ذلك . وسيرة دمام رجالنا ، ومراكبك معكم أساطيلنا . حتى يصبح به علينا إن شاء الله . نصرفوا إليك » (٣) . وكانت الخطة الفاطمية تفضي بأن يرسل الإخشيدون أسطولهم إلى إحدى القواعد الفاطمية بإقليم برقة ، وتبحر القوات المتحدة معا من هناك .

(١) اسماعيل ، نفس المرجع . ج ٢ ، ص ٤٢٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٤١٨ ، ٤١٩ .

Vasiliev, L'Empir Byzantin I, 407 ; Runciman, Romanus (١) Lecapenas, 123.

إلى إفریطش . ولكن الدولة الإخشيدية كانت بدورها تعاني انحلالاً شديداً لا يقل عن التدهور الذي حل بالخلافة العباسية ، ولم تستطع إلا التظاهر بإبزال عدة سفن إلى البحر . ولذا لم يكن أمام المعز إلا مخاطبة الروم . مهدداً إياهم بالحرب إذا هاجوا إفریطش . ذاكراً أن له حق الدفاع عنها .

[illegible]

حماراً شبيهاً

10. 11. 12. 13.

1. *Chlorophyll a* (Chl a) and *Chlorophyll b* (Chl b) are the two main types of chlorophyll found in plants. They are responsible for capturing light energy and converting it into chemical energy through photosynthesis.

...

١٠٠

... 1951

1. 1944 1945

قائده جرهر الصقلي بمساعدة الأسطول الفاطمي الاسنيلاء على مصر سنة  
٥٣٥٨ / ٩٦٩ م .

ولم يلبث المعز أن صمم على اتخاذ القطر المصري قاعدة لامبراطورية  
الفاطميين في شرق البحر الأبيض المتوسط بسبب ما تتمتع به تلك البلاد من  
موقع استراتيجي عظيم . وفي سنة ٥٣٦٢ / ٩٧٣ م انتقل المعز إلى القاهرة  
التي أسسها له قائده جوهر الصقلي ، وغدت تلك العاصمة الجديدة رمز القوة  
الفتية التي انتقلت إلى شرق البحر الأبيض المتوسط .

وترتب على انتقال عاصمة الدولة الفاطمية إلى القاهرة تجدد نشاط الأسطول العربي في شرق البحر الأبيض المتوسط ، وصعد تيار سفن الروم التي انتقلت من قنصية قسطنطينية إلى سواحل الشام . واستهل المعز سياسته في مصر بفتح قنصية قسطنطينية ، ثم استولى على الإسكندرية ، وأسس فيها صناعة

في فنيح الشام وإيفاف

... قبل أن تستقر دماثة .

موضوع: عناصر الشيعة المصادرة

د. محمد مصطفى علي الشام ، ونشر

في انتقال المعز إلى مصر وتقوية

للاستطلاع في بعض هذه النواحي، وإرسال الإمدادات سريعاً إلى

1940

وجاء اهتمام الفاطميين بالشام وتدعيم قواهم فيه على سواهم خيراً للدولة الإسلامية عامة وللكيان العرب في شرق البحر الأبيض المتوسط خاصة . ذلك أن الروم تبادوا في استعمارهم المنطقة بحربهم المستمرة ضد استيلائهم على إقريطش . إذ خلف بقصور قونية في سنة ٩٦٠م إمبراطور آخر مغتصب للعرش يسمى جناديخ في سنة ٩٦١م بدوره بالهجوم على إقليم الشام . وانتزاع بيت المقدس من المسلمين . وفي سنة ٩٧٥م اندفع إمبراطور الروم إلى مصر محاولاً ضم مصر معه لخرقة واستولى على كثير من مدن الشام ولا سيما الساحلية من بيروت وصيدون ولكنه لم يلبث أن نخل عن مشروعه خافة من هجمات المسلمين المدعومين من مصر . إذ عند طرابلس تلقت قوات الروم هزيمة عن يد جماعة من قادة المسلمين . أزرها الأسطول الفاطمي<sup>(١)</sup> . وبذلك هددت مصر من قبل قواهم البحرية فأشلا بسبب قوة البحرية الفاطمية .

وبدأت الدولة الفاطمية بعد ذلك تسترد سلسلتها في مصر، وبمقتضى معاهدة  
وتطارد الروم من أطراف الشام الشمالية. ودأب العزيز على التخلص من الحمير  
بالقاهرة على إمداد قواته في الشام بالأساطيل الحربية، وبمقتضى معاهدة  
وقد لجأ الروم إلى بعض أساليب الغدر لعل قلة استعدادات الفاطميين البحرية،  
ومن ذلك أن الخليفة العزيز أمر سنة ٩٩٦ م بإعداد أسطول عظيم في دار  
صناعة المنسوجات للهجوم على قواعد الروم المجاورة للشام. ولكن ما كادت دار  
الصناعة تفرغ من بناء السفن حتى شبت فيها النار وأحرقت غالبيتها.

واهتمت السلطات الفاطمية بتجار الروم وعملائهم من مدينة «أمالني»

(۱) المقریزی ، خطط ، ج ۲ ، ص ۱۹۵ ، ۱۹۶ .

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، ص ١٢ ، ١٣ .

Vasiliev, op. cit. 410, 411. Brehier, op. cit. 206. (1)

الحرية، التي كفلت للعرب هيمنة على الشطر الشرقي من البحر الأبيض المتوسط في فترة كانت فيها الخلافة العباسية تعاد أو أضعفت الانحلال. وقد أشاد المؤرخون العرب بذلك النشاط البحري الذي خلقة الفاطميون في شرق البحر الأبيض المتوسط. وهو ترتب عليه من نتائج مهمة في الدفاع عن شواطئ مصر والشام ضد المقيمين في تلك المناطق. في البلاد الشامية بعد سنة خمسين وثلاثة أمتهم أمره إلى الفاطميين، يأخذهم البلاد، وقويت العناية بالأمطول في مصر. وقد قدم الممنوعين الله. في شأ المراكب الحرية، واقتدى به بنوه. وكان من أهمهم بأمور الجهاد، واعتد بالأمطول وواصلوا إنشاء المراكب بحرية مصر وإمكنته ودمياط وتسييرها إلى بلاد الساحل. من صور. في سنة خمس مائة. وكانت في أمم الممنوعين الله تزيد على ستمائة قطعة. (١)

وقد سر داب خلدون في  
البحر الأبيض المتوسط  
الفاطمين قائلا  
العجم خولا لهم  
واستخدمو  
للبحر واتفقوا  
السفن في  
العساكر  
على الكيم ونحو  
والغلب إلا

ومن هنا كان فتح صقلية أيام زيادة الله الأول ابن إبراهيم بن الأغلب ..  
 وفتح قوصرة أيضاً في أيامه .. وكانت من بعد ذلك أساطيل إفريقية والأندلس  
 في دولة العبيديين ( أى الفاطميين )<sup>(١)</sup> والأمويين تتعاقب إلى بلادهما ..  
 وانتهى أسطول الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر إلى ماتي مركب أو نحوها  
 واسطول إفريقية كذلك مثله أو قريباً منه .

وكان المسلمون قد غلبوا على هذا البحر (الايض المتوسط) من جميع جوانبه وعظمت صولاتهم وامتطوا أظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومه من الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه ، مثل ميورقة ومنورقة ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة وإقريطش وقبرس وسائر ممالك الروم والافرنج .

وكان أبو القاسم الشيعي ( حليفة فاطمي ) وأبنائه يغزون أساطيلهم من  
الهندية جزيرة جنوبية فتغلب بالشعر والغنيمات .. والمسلمون خلال ذلك كله  
في هذه البحار ( الأبيض المتوسط ) وصارت أساطيلهم  
سلامية تجز البحر في الأساطيل من صقلية  
إلى ليبيا ، فتوقع بملوك الإفرنج وتنحز  
في موك صقلية القاهريين فيها بدعوة

۱۔ یہ ہے کہ ہمیں علی انصاف ہیں

• سابعاً : وكيفية التمييز بين السليم والفساد



العبدين ( الفاطميين ) . وانجازت أمم النصرانية في هذه المنطقة  
الشمالى الشرق منه ، من سواحل الإفرنجية والصقلانية في حوض البحر الأبيض المتوسط  
لا يعدونها . وأساطيل المسلمين قد ضربت حصاراً على هذه الموانئ  
وقد ملأت الأكر من بساط هذا البحر . وقد كانت هذه الموانئ  
مربحاً وحراً ، في تظهر للنصارى أمة قوية .

في الخدمة

فقد كانت هذه الموانئ في خدمة المسلمين في البحر الأبيض المتوسط  
المتوسط أن النصرانية لا يمكن أن تكون في هذه الموانئ فواعد آمنة ودور  
صناعات كاملة وحدها . وقد كانت هذه الموانئ في خدمة قوة بحرية تبغى  
العزة والمجد .

واتجهت أنظار السلطات العربية أولاً في إنشاء ومصر ، ثم في بلاد  
المغرب والأندلس إلى تدعيم القواعد البحرية القديمة لها ، وإنشاء أخرى  
جديدة تعزز من نشاط أساطيلها وتبني لها أسباب الفوز والسلامة . وكانت  
لدى العرب على امتداد شواطئ البحر الأبيض المتوسط التابعة لهم قواعد  
بحرية علا ذكرها في التاريخ القديم ، وأسهمت بنصيب وافر في خدمة  
القوى العظمى التي شاهدها هذا البحر في الشام قامت قواعد بحرية عديدة .

مثل اللاذقية وطرابلس وصور وبيروت وعكا، تمتعت كلها بالموقع الممتاز والحصون القوية.

وأشاد الرحالة والجغرافيون العرب الذين جابوا شواطئ البحر الأبيض المتوسط التابعة لسلطان بلادهم بعظمة تلك القواعد البحرية وضخامتها ، وبالأهتمام البالغ الذي أسبقته السلطات على تحصيناتها ومعاقبتها . ومن ذلك مارواه المقدس <sup>ال</sup>عنه ميناء عكا ، الذي اهتمت الولاة والحكام الذين تداولوا عرش القاء بحرسه ونعمه والاعتناء به . كانت عكا أول ميناء حربي خرجت منه السفن لفتح بلاد الشام

ويبدو أن  
ازدياد النشاط البحري  
الحرية  
التي توجب  
كذلك  
قوية لها، على  
الروم إذ ذلك

وفاة رسول الله  
كذلك طريقة إمام

(٩) بعد من ...  
قال اسمه نفسه من ...  
عدا أسبانيا وجمهورية ...  
خلال عشرين سنة في ...  
كثيرا من المعارك القوية ...

صور ومنعتها واستدارة الحائط على ميناها ، فأحب أن يتخذ لعكا مثل ذلك  
الميناء فجمع صناع الكورة<sup>(١)</sup> ، وعرض عليهم ذلك ، فقيل لا يهتدى أحد إلى  
البناء في الماء في هذا الزمان ، ثم ذكر له جدنا (أى جد المقدسى) أبو بكر  
البناء ، وقيل إن كان عند أحد علم هذا فعنده . فكتب إلى صاحبه عن بيت  
المقدس حتى أنهضه إليه . فلما صار إليه ، وذكر له ذلك قال : هذا أمرهين ،  
على بفلق الجيز الغليظة ، فصفها على وجه الماء بقدر الحصن البرى ، وخطط  
عضها بدمع ، وجعل لها باب من الغرب عظيمة ، ثم بنى عليها بالحجارة  
والشيد وجعل كذا دوايس وربطها بأعمدة غلاظ ليشد البناء ،  
ثم إذا علم أنها قد جلست على الرمل تركها  
ثم عاد فبنى من حيث ترك ، كلما بلغ البناء  
ثم جعل على الباب قنطرة ، فلما ركب

ولا سيما في اليهود ، وبلغت تلك القواعد أوج  
عمرها في عهد السلالات صورية وعكا وعسقلان بالسفن الخربية  
التي كانت مختلفة الألوان .

١٢ في آخر القرن الثالث الهجري أن ميناء طرابلس

[illegible]



الهام الذي قامت به الاسكندرية في إغارات العرب البحرية . فكان قرة بن شريك يرسل الأوامر إلى حكام المديريات لإرسال المنوثة - ومهرة الصنع والبحارة والجند كذلك - الخاصة بالأسطول الراسي بالاسكندرية (١) ، ومساعدته على أداء رسالته في الدفاع عن البلاد وشواطئها .

وقد أشاد الجغرافيون والرحالة العرب بما لقاعد الاسكندرية من مكانة عظي في نشاط الأسطول العربي ، كما تحدثوا في إعجاب ، مباغاة عن منارتها المشهورة . وكانت تلك المنارة قائمة زمن الفتح العربي لاسكندرية وتؤدي رسالتها في خدمة النشاط البحري ، وانحصت المدة التي سبقت من باهتمام الرحالة والجغرافيين ، رأوا في المنارة عندهم من المآثر التي كانت تستخدم في رؤية بعد

ومن أمثلة تلك المباني عجايب بلاد الهند التي لا يرى يجري في القسطنطينية الشفاف ، يمكن مدى البصر ، ومن العدو يتسلط أثناء

(١) من أمثلة ما ذكره الرحالة العرب في وصفهم لاسكندرية في القرنين الثامن والتاسع هجريين ، حيث قال : « لقد أرسلت إلى الجند المقيم بها ، وعلى رأسهم البحارة بحالة جيدة وهم هم البحارة » (٢) السمودي - ١٣٦ -

ومهم . يكن من أمر تلك المباني فأنها تكشف عن حقيقة ثابتة ، ألا وهي استخدام منارة الاسكندرية في الأعمال الحربية البحرية إلى جانب مهمتها في إرشاد السفن التجارية . ثم إنه يتضح من الروايات الأخرى التي تصل بأخبار تلك المنارة أن الروم عمدوا إلى تخريبها ، وإبطال عمل مرآتها ليسهل عليهم مهاجمة قاعدة الاسكندرية . ومن ذلك أنه في خلافة الوليد بن عبد الملك في القرن الثامن الميلادي تحايل الروم لهدم المنارة ، فذهب رجل من علية قومهم ومن المقربين للإمبراطور إلى الخليفة يطلب منه الحماية ، مدعياً أن سلطات الروم غاضبة عليه .

وبعد أن اطمأن اللاجئ - المحتال إلى سلامته وكسب ثقة الخليفة ، ذكر أن لديه كتاباً قديماً فيه معلومات عن كنوز للفراغة مدفونة تحت المنارة . فاستدعى الخليفة معه هذا اللاجئ ، وجماة من الجند ليستخرجوا الكنز ، مما نطلب من هؤلاء الجند أن الناس احتجوا وبغثوا يطلبون من الخليفة أن يوقفهم . فحدثت في تصدع المنارة . فهرب اللاجئ . وإذا كانت تلك الرواية بدورها قد أثبتت أن المنارة قد أصابها الدمار في القرن الثامن الميلادي ، فإن روايات الرحالة والجغرافيين العرب اعتمدوا في أخبارهم عن المنارة

على ما ذكره الرحالة العرب في القرنين الثامن والتاسع هجريين . ومن ذلك أن محمد بن حبيب بن جعفر بن علي قتها قبة من الخشب سنة ٨٧٥ - وشكر هذه ثقبه لمنق مدة طويلة . وقد تابع خاروية بن أحمد





وكانت القواعد المصرية البحرية حافلة بالسفن الحربية طوال العصر الذهبي للأسطول العربي في مياه البحر الأبيض المتوسط ، ومركزاً هاماً تنطلق منه الإغارات البحرية العربية على قواعد الروم في البحر الأبيض المتوسط . وقد ظلت تلك القواعد البحرية على اتصال وثيق بقواعد الشام خلال تلك الفترة الزاهرة من تاريخ الأسطول العربي ، حتى صارت مياه الشطر الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ميداناً مصرياً شامياً تتعاون فيه أساطيلهم على إعراز العروبة والإعلاء من شأنها .

في المغرب :

وتتضح مجهودات العرب ضد قواعدهم أسطوطهم في البحر الأبيض المتوسط ، وعدم تمسكهم بالقواعد البحرية التقليدية ، بل أن هم الاستيلاء على شمال إفريقيا . فقد آتت لهم الفرصة بحربهم ضد القدينة مثل قرطاجنة ، وأسست لهم قاعدة جديدة تنفذ منها عملياتهم في غرب البحر الأبيض المتوسط .

واستهل تلك السياسة

التي يرجع إليها النصر

أول قوة بحرية عربية

من تجارته في

الأبيض المتوسط

في دور النشأة الأولى

إغارات الروم البحرية في

حسان يفكر في ضرورة

الروم ، وتستطيع فيما بعد أن تساعد السفن الحربية العربية على صد إغارات الروم وأساطيلهم .

ووجد حسان ضالته في مكان جنوبي قرطاجنة ، إذ بقع خلف الساحل بحيرة داخلية تسمى آدس ( Ades ) ، لا يفصلها عن البحر غير برزخ صغير ، وعلى تلك البحيرة توجد مدينة لها ميناء ترسو به بعض السفن . ووجد حسان بغينة في تلك المدينة ، ومن ثم أمر بحفر البرزخ الذي يفصل البحيرة عن البحر ، وكذلك بحفر قناة أخرى في مياه البحيرة حتى تستطيع السفن السير من البحر مباشرة إلى الميناء الداخلي ، الذي عرف منذئذ باسم تونس ، وغدا قاعدة آمنة للسفن الحربية العربية<sup>(١)</sup>

وأثبتت الأحداث حسن اختيار حسان لقاعدة تونس ، إذ كفل لها استعدادها عن البحر فرصة تستطيع فيها الحاميات العربية مقاومة أساطيل الزوار قبل وصولها للميناء الجديد ، كما أن مياه البحيرة الهادئة هيأت للسفن الحربية أنماذجاً من السفن الحربية وأنوائه . ولم يكتف حسان بتأسيس قاعدة بحرية ، بل أقام داراً لصناعة ، تدها بالسفن الحربية وتجعلها حربية دفاعية فقط . فقد أرسل هذا القائد العربي طلباً منه أن يوفد إلى تونس جماعة طلب منه أن يوفد إلى تونس جماعة

طلب منه أن يوفد إلى تونس جماعة

روم ، وإلى مصر إذ ذاك ،

وأن يعد لهم أحسن إعداد

فما يكفل لهم الراحة طيلة السفر والوصول من غير انقطاع وحينئذ تلتك  
السياسة العربية عنواناً على التضامن البحرى الذى ساند سائر الأقطار العربية  
المطلّة على البحر الأبيض المتوسط ، وبداية الجهد الذى سبقت له في بلاد  
المغرب ذلك أن المصريين بادروا إلى إنشاء فرع من قناة السويس فى تونس  
عقب وصولهم ، وحسان بن النعمان مقيم فى سبتة ، فاستجاب لطلبهم ، فأنشأ  
الأصليين يقطعون الأخشاب من سفوح الجبال التى تحيط بها ، فأنشأ  
حيث يتولى الصناع المصريون بناء السفن .

وذلك اتسع نشاط قاعدة في  
هامة ثلاث أسطول العربي في غرب البحر  
القاعدة الجديدة ، أساطيلها وبحارتها  
أبحاء البحر الأبيض المتوسط . فبعثت  
العربي وهو على حصاره للقسنطينية . على  
لطر د أسطول الروم من قواعده المجاورة لبلاد

وزادت أهمية تونس عندما اتجه الأغلبية إلى فتح جبهة جديدة  
إذ قامت تلك القاعدة بخدمات جليلة ، وساعدت على الاستقلال على هذا  
المعقل الهام من معاقل البحر الأبيض المتوسط . وظلت قاعدة تونس تؤدي  
رسالتها حتى ظهر الفاطميون واستولوا على حكم الأغلبية وسلطانهم في تونس .  
إذ شاهدت بلاد المغرب بظهور تلك القوة الجديدة نشاطاً بحرياً هائلاً ،  
قوامه تأسيس قواعد جديدة وبناء سفن حربية شاحنة .

وينسب إلى عبيد الله المهدي ، أول خليفة فاطمي في بلاد المغرب

(١) البكري ، نفس المرحوم . ص ، ٣٨ ، ٣٩ .

تأميم فاسد و...  
 ذلك أن الهندى...  
 مستر...  
 الهندى...  
 الهندى...  
 الهندى...  
 الهندى...  
 الهندى...

.. من أجل أن أحل  
.. في حديثة بدين  
.. أدر هذا أصعب  
من أن تأخذها  
منه قوتها وأهميتها  
يوم أنت على

وتتبع حلفاء الحبيشة في بلاد الحبشة إنشاء القواعد البحرية .  
ذلك أن الخليفة بعد أن علم أن الفاضل رأى في إنشاء المهدية ، وكثرة السفن  
بها ، وأن دار الصناعة لم تعد قادرة على مواجهة مطالب الأسطول .  
فصمم المعز على إنشاء قاعدة أخرى جديدة ، وساعدته الظروف إذ ذلك  
على تدعيم قاعدة قديمة وهي مدينة سوسة . وكانت تلك القاعدة القديمة  
حصينة ، لأن البحر يحيط بها تقريباً من ثلاث جهات وتكثر بقربها

الحجوة التي تحميها من تدفق الأمواج وحدث أن اكتشف في مدينة  
سوسة على عهد المعز بضع مراحل (قدور كبيرة) قديمة ، لا تحتاج إلا إلى  
إصلاح يسير لتصبح صالحة لاستخدامها في مياه الشرب . فأمر المعز  
بإصلاح تلك المراحل ، وتوصيل الماء لها ، حتى صارت مكاناً عامراً (١) ،  
وغدت قاعدة ثانية للأسطول الفاطمي ببلاد المغرب .

ولم يكتف المعز بذلك بل إنه فكر في خلق قاعدة ثالثة لأسطوله  
في عاصمته الجديدة التي اتخذها ببلاد المغرب والتي عرفت باسم المنصورية ،  
إذ قال مرة وهو في عاصمته : لئن امتد المقام ههنا . لنجرب البحر بحول الله  
وقوته في خليج ، حتى تكون « أكسا تحفظ وتقلع بحصرتنا » ، ولكن المعز  
كان إذ ذاك يستعد لفتح مصر ، ولم له الاستيلاء عليها ثم انتقاله إلى القاهرة  
سنة ٥٣٦٢ / ٩٧٢ م . وصارت للأسطول الفاطمي قواعد أخرى جديدة  
في شرق البحر الأبيض المتوسط .

#### في الأندلس

وكانت سواحل بلاد الأندلس في عهد المعز تكثر من القواعد البحرية السكونية ، فقد نشأت على طول سواحلها قواعد بحرية كثيرة ، احتشدت فيها السفن والرجال ، واهتم المعز في عهد أبيه بالجهاد في البحر ، واهتم في عهده بالجهاد في البر .

وكانت سواحل بلاد الأندلس في عهد المعز تكثر من القواعد البحرية السكونية ، فقد نشأت على طول سواحلها قواعد بحرية كثيرة ، احتشدت فيها السفن والرجال ، واهتم المعز في عهد أبيه بالجهاد في البحر ، واهتم في عهده بالجهاد في البر .

الأندلس ، حيث تعرف المدينة الواقعة عليه باسم « قرطاجنة الخلفاء » .  
وأدى وجود المرابطين في قواعد الأندلس إلى تعزيز الأسطول هناك  
بجماعات شديدة البأس ، لا تعرف إلا الجرأة والمغامرة في ميدان القتال  
البحري . وتفسر تلك الظاهرة ما اتسمت به حركات الأسطول الأندلسي  
من أعمال البطولة أشبه بما تقوم به فرق الفدائيين البحرين في الوقت  
الحاضر ، ذلك أن المرابطين لم يأخذوا أجراً مقابل أعمالهم ، وإنما كانوا  
متطوعة وهبوا حياتهم لنصرة دينهم وإعلاء كلمته .

وساعد هذا النوع من النشاط البحري الأندلسي على خلق قواعد بحرية  
زاهرة ، عامرة بكافة أسباب الراحة ومطالب الحياة . ومن أمثلة ذلك  
تأسيس جماعة من البحرين الأندلسيين لقاعدة بحرية من تلقاء أنفسهم  
دون أية مساعدة من الجهات الرسمية في الدولة . وكانت هذه القاعدة أصلاً  
موضعاً بسيطاً على الساحل الأندلسي الجنوبي على مصب وادي أندرش  
( Rio Andarax ) شرقي ألمرية . وقد أقام جماعة من البحرين الأندلسيين  
القرب من هذا المكان ، واتخذوا لهم هناك مخازن لتجارهم ، وأطلقوا  
على تلك الجماعة اسم « جماعة أندرش » .

وكانت سواحل بلاد الأندلس في عهد المعز تكثر من القواعد البحرية السكونية ، فقد نشأت على طول سواحلها قواعد بحرية كثيرة ، احتشدت فيها السفن والرجال ، واهتم المعز في عهد أبيه بالجهاد في البحر ، واهتم في عهده بالجهاد في البر .



إلى كلمة جزيرة الروضة ، بسبب جوده موقعها وقصورها وحدائقها . على أن تلك التسمية الأخيرة لم تصبح شائعة إلا في أواخر عهد الدولة الفاطمية وقرب زوالها من مصر ، وظلت التسمية الأولى ، وهي جزيرة الصناعة والتسمية الثانية وهي جزيرة مصر شائعتين طوال تلك الفترة الداهية من تاريخ الأسطول العربي في البحر الأبيض المتوسط .

وكشفت أوراق البردى التي ترجع إلى عهد ولاية قرطبة شريك على مصر عن نظام العمل في تلك الدار ، وصلة دارها بما يعبر حدودها في شؤون الصناعة الأخرى في شتى البلاد . وقد عرفت من تلك الأوراق أن دار صناعة تلك الجزيرة كانت تملكها الدولة ، وتحت إدارتها الحربية قبل بناء دور الصناعة في مصر ، وقد كانت دار صناعة تونس في بلاد المغرب تملكها الدولة ، وقد كانت دار الصناعة الأصل الذي نقل عنه العرب تسمية دار الصناعة في مصر ، ولأسطولهم .

وترجع أولى الروايات عن دار الصناعة في مصر إلى سنة ١٠٥٤ / ٦٧٣ م في عهد ولادة دار الصناعة في مصر ، وقد كانت دار الصناعة السابق لقيام تلك الدار ، وقد كانت دار الصناعة في مصر ، ولأسطولهم خسارة فادحة ، وقد كانت دار الصناعة في مصر ، ولأسطولهم تفكر في تدعيم الدفاع في مصر ، وقد كانت دار الصناعة في مصر ، ولأسطولهم في جزيرة الروضة في مصر ، وقد كانت دار الصناعة في مصر ، ولأسطولهم

وجرى نظام العمل فيها ، وقد كانت دار الصناعة في مصر ، ولأسطولهم ثابتة دقيقة ، فكان هنالك

المواد الخاصة ببناء السفن واستدعاء مهرة الصناع وغيرهم من العمال الذين تتطلبهم دار الصناعة .

فكان على دار صناعة الجزيرة سنة ٩٠ هـ ، وهو زمن أوراق البردى التي نسب إلى ولاية قرطبة بن شريك مشرف عام اسمه ابن أبي حكيم ، اشتهر بحزمه ونهائيه في إدارة العمل ، وتدل الأوامر التي حوتها أوراق البردى على تكاليف عدة مض بها سكان المقاطعات المجاورة للفسطاط وغيرها من مدن الديار المصرية لتزويد دار الصناعة في الجزيرة بشتى الحاجات . ففي أحد الأوامر الصادرة من قرطبة بن شريك إلى حاكم مقاطعة أفروديتي (كوم إشقو الحالية ، بنى بكلف يرمسان تجارين وحدادين وفعله لبناء السفن في دار صناعة الجزيرة) .

وكانت الحكومات الخيرية اللازمة لبناء السفن من المسامير والحبال والأشرفة والأخشاب تسير من مقاطعات مصر ، كل حسب قدرتها واختصاصاتها إلى جزيرة مصر ، وحدثت السلطات العربية أجور العمال وكذلك مقدار المواد الغذائية اللازمة لهم . وبذلك جرى العمل في دقة ونظام تام في بناء سفن الأسطول العربي منذ أيامه الأولى . وما ساعد على سير العمل سرياً حسن مريض السننات العربية على رفع كل غبن يقع على العمال المستغلين في دار الصناعة ، وإعادة حقوقهم الصناعية (٣) . ومن ثم أقبل الصناع على مصر بخصاسة ، لإنتاج أعظم سفن حربية ، جعلت من الأسطول العربي في ذلك الوقت من أقوى أساطيل العرب حول شواطئ البحر الأبيض المتوسط .

Beil. Aphrodito papyri (J.H.S.)

Beil. Der Islam II, 1953

Ibid papyri No. 1408.





في مصر الذي تصنع منه المراكب هو شجر الشبج (اللبج) ، الذي ينبت بمدينة أنصنا (١) .

واشتهر هذا النوع من الشجر لطول الألواح التي يمكن أن تؤخذ منه ، ويباع اللوح بخمسين ديناراً أو خمسمائة . وإذا شد لوح بلوح ، وطرحا في الماء ستة أيام صارا لوحاً واحداً . واستوردت البلاد العربية الأخشاب من الخارج ، فكانت الهندية أيضاً تمد العرب في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، بالأخشاب بناء السفن . وكان أمبراطور الروم يحتاج لدى السلطات الحاكمة في الهندية طلب مناهل تلك تصدير الأخشاب لعرب زمن الحروب بينهما .

وكانت الأخشاب تشح في تلك السنين ، فاستعملت السلطات المصرية نظمت في ذلك الوقت مصلحة للأخشاب ، وأنه حدث في عهد الخليفة الفاطمي في مصر ، فاستعملت الأخشاب إلى عهد الفاطميين . وفي سنة ١٠٩٧ هـ ، إذ ذاك لحرب الروم ، استعملت على بناء الأسطول أمبراطور الروم كبرار كانت مسقط رأسه في البيمارستان (٢) الذي في سورية . واشتهرت السفن التي إذا ما قابلت ربحاً مضاداً .

(١) المقرري .

(٢) البيمارستان .

(٣) المقرري .

خفيفة الحركة لخدمة الأسطول ، ومساعدة سفنه الكبرى . واشتهر من أنواع تلك السفن الحربية إبان عصر الأسطول العربي الزاهر الوحدات التالية :

### الشواني :

كانت أهم قطع الأسطول ، والواحدة منها تسمى شني أو شونة ، وتمتاز بالطول ، تجذف بمائة وثلاثة وأربعين مجذافاً ، ومزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم . حتى صارت أشبه بالقلع البحرية تحاصر العدو وترمي بالنفط ، وتخطم سفنه تقوم وحدها تلك الشواني على مخازن للقمح وصهاريج لبناء أحد حصارها وتساعد طائرتها وجندتها على البقاء أطول مدة ممكنة في غاراتها .

الزور

وهي سفينة لا تختلف عن الشواني ، وإنما سميت بهذا الاسم لأن الزور حارب العدو في البحر . وكانت هذه السفن بالناس الشديد ، يزل الرعب في قلوب الأعداء .

الحراب

وتعرف أيضاً بالحرافات . لأن السفينة منها أو الحراقة اختصت بقذف العدو بالأسلحة النارية وأنايب النفط . وكانت الحراقات تقل عن الشواني في الحجم ، وتتمتع بوجود المنجانيق عليها لقذف العدو بالنار المحركة

## الطاسيات :

وهي مراكب حربية كبيرة لا تقبل الهزيمة ، ولكنها تختلف عنها في أن الواحدة منها أو السدس من السفن تحمل البنادق والسلاح ، وتستخدم كذلك في نقل الضحايا.

## البطس :

وتختص تلك السفن بنقل الجند المحارب ، فضلاً عن الأرواد والذخيرة وكانت الواحدة منها أو البطس عظمية البناء ، تشتمل على عدة طبقات ، يشغل كل طبقة منها فئة معينة من الجند بأسلحتها ، وتسيرها قلوب كبيرة تقدر بأكثر من أربعين قلعاً .

## القراقير والحماولات :

وهي سفن كانت مهمتها الأساسية نقل المؤن والذخيرة للأسطول ، واقتصرت القراقير فيما بعد على حمل المؤن ، على حين اضطلعت الحماولات بنقل الذخيرة .<sup>(١)</sup>

## نوابع الأسطول :

واشتمل الأسطول عدا تلك القطع الكبيرة على سفن أخرى عديدة أقل حجماً ، ولكن أهميتها عظيمة . ومن ذلك الطرادات ، جمع طراد ، أو طراد ، وكانت سفن صغيرة على هيئة البراميل ، بدون سطح ؛

(١) الفلشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥٢٣ ،

\*Kindermann, schiff, 3 - 10

و « شباك » ، وهي سفن حربية صغيرة لا تقبل الهزيمة ، ولكنها تختلف عنها في أن الواحدة منها أو السدس من السفن تحمل البنادق والسلاح ، وتستخدم كذلك في نقل الضحايا .

وبذلك كان الأسطول يتكون من سفن حربية كبيرة ، وسفن صغيرة ، وسفن أخرى من المراكب الصغيرة التي كانت تنقل الجند المحارب ، فضلاً عن الأرواد والذخيرة وكانت الواحدة منها أو البطس عظمية البناء ، تشتمل على عدة طبقات ، يشغل كل طبقة منها فئة معينة من الجند بأسلحتها ، وتسيرها قلوب كبيرة تقدر بأكثر من أربعين قلعاً .

ولم تذكر لنا المراجع شئ يستدل منه على أن سفن الحربية كان ضعيفاً ، وإنما ترد الأقوال والروايات تنعاً بما يركب سفن الحربية ، وتقائهم وإخلاصهم في عملهم ، وقد فُتحت لهم الأسطول العربي النماذج التي احتذاها العرب في بناء أساطيلهم فيما بعد .

(١) ماجد ، نظم قاصميين ٢٢١ - ٢٢٤ :

عباده ، سفن الأسطول لاسلاي ، ص ٤ - ٧ :

Dozy, Suppl, I, p. 723 .



بالريح أو المجاذيف . وكذلك مهمة إبحار السفينة . ومراعاة ما يرى إلى جانب النواتية كانت هناك فرق الجند المعدة للقتال البحرى ، وتعمل تحت إمرة القائد ، الذى يضطلع بإعداد الأسلحة ، وإعداد السفن على العمليات الحربية (١)

وكان أمير البحر الذى يتولى رئاسة السفن الحربية جميعها هو المسئول عن إدارة المعركة وسلامة جنده ، ومن ثم أطلق عليه أحياناً اسم «رئيس الأسطول» أو «المقدم» . واهتمت السلطات العربية بدرجة مطالب أمراء البحار التابعين لها وإعطائهم مطلق الحرية فى إعداد سفنهم بسبب خطورة حرب البحار . وبلغ عدد قادة الأسطول العربى فى العهد العثمانى مثلاً عدداً كبيراً ، واشتهروا بمقدرتهم الفائقة ، وخبرتهم الواسعة فى ميدان البحار (٢)

وقد ورد بيان لسلطات أمراء البحار ونوع اختصاصهم فى وثيقة بعث بها أحد الخلفاء إلى أمير بحر على إحدى الموانى ، إذ تضمنت على حق أمراء البحار فى اختيار رجال الأسطول ومعاملتهم ، والإنشغال على بناء السفن ومراقبتهم ، ومسئوليتهم عن قمم المخبرات البحرية التابع لهم . وهذا هو نص أمر التكليف لأمير البحر :

هذا ما عهد أمير المؤمنين إلى فلان حين ولاه الخراج الفلانى وبحره ومراكبه : -

أمره بتقوى الله وطاعته والحذر من عقابه واتباع مرضاته وإيثار الحق فى جميع أفعاله .... وأمره بتعهده نفسه حتى يقسم أودها وينفى بذكر الله

(١) ابن خلدون ، المقدمة ( قيادة الأساطيل ) .

(٢) المقرئى ، خطط ، ج ١ ص ٤٨٣ .

الفاشندى ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٥٢٣ .

الغوى وريج أمير البحر . ويظهرها ويهذب سيرته وثقتها . ويحكم من بعده من الحسد والغيرة . ويحكم فى الخير إماماً ومعلماً ، وعلى سيرة أصحاب المنهج حاشية . ويحكم فى العدل لأهل الطاعة ، ويحكم على سيرة المفسدين ويعظم على سيرة الصالحين من النصفة والمعدلة . وأمره أن يكون له من الخدم من يثق به من غير أن يثق به من غيره .

من ذوى الحاشية ، وأنظفها . وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره . وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره . وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره . وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره .

وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره . وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره . وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره . وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره . وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره .

وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره . وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره . وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره . وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره . وأمره أن يسمع من كل من يثق به من غيره .

وأمره أن يكون بواسيرته وعونه الذين يعث بهم ليخبر أخبار عدوهم من ذوى الصداق والنصيحة والدين والأمانة والخبرة بالبحر وموانيه وداخلاته ومخائيه حتى لا يأتوا إلا بالصدق من الخبر والصحيح من الخبر . وإن رهبهم من مراكب العدو مالا قوام لهم به انحازوا إلى الموضع الذى يعرفونها ويعملون للنجاة بالانحياز إليها .

وأمره ألا يدخل فى النقاطين والنواتية والقذافين ولا فى غيرهم من ذوى الصناعات والمهن فى المراكب إلا من كان طبيباً ماهراً حاذقاً صبوراً معالجاً



مدينة من يعلم حالها ، ولا يطلق لأحد من البوابين والحرس أن يدخلها  
إلا من يعلمون حاله وسبل مدخله وصورته ومغزاه وإرادته .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك وأمره إليك . فافهم واعمل بما حده  
ورسمه ، وأكن عند حسن ظنه بك في جميعه ، وهو يسأل توفيقك وإرشادك  
إلى ما فيه الخيرة في جميعه بما أسنده إليك واعتمد فيه عليك (١) .

وأن يكون من يحمله معه في المراكب أفصل الجند ورجال الأولياء أصدق  
نية واحتساباً وجرأة على العدو وإرتكاباً

وأمره أن ينظر في صناعات المراكب نظراً استكشافاً ، لا أن يتركها من  
الخشب والحديد والمشاة ، بل أن يجمع حكماء يعرفون ما في كل صنعة  
وقطعتها وتركيبها ، ويستخرجون من صناعاتهم ما في كل صنعة  
ويختبئونها . ويميز النواتج من صناعاتهم ، ويختارون ما في كل صنعة  
والتي تجرب من جميعهم ما في كل صنعة ، ويختارون ما في كل صنعة  
من يكون غيره أحق به

وأمره أن يتحرر من كل ما في كل صنعة ، ولا أن يتركها من  
من أدوات الحرب والقتال ، ولا أن يتركها من كل ما في كل صنعة  
من التجار حمل تنبيه ، ولا أن يتركها من كل ما في كل صنعة  
على هذا وما حانسه ، ولا أن يتركها من كل ما في كل صنعة  
وعظة

وأمره أن يحذر من كل ما في كل صنعة ، ولا أن يتركها من  
من يثق بنصيخته ورسوله ، ولا أن يتركها من كل ما في كل صنعة  
في كثير من الأوقات من كل ما في كل صنعة ، ولا أن يتركها من  
متعاهدة مصه به إلى كل ما في كل صنعة ، ولا أن يتركها من  
من النفط والفسان ، ولا أن يتركها من كل ما في كل صنعة  
وأوعيتها وأمن الغنم

وأمره بشدة أحد

(١) نقله محمد بن أبي بكر في تاريخه ، وهو مخطوط في مكتبة استنبول .  
(م - ١١ - الأسطول العربي)



في مبدأ قتالهم في البحر الأبيض المتوسط هو « النار البحرية » ، التي استخدمها  
الروم وزودوا بها أساطيلهم . وتسبب الروايات اكتشاف هذه « النار  
البحرية » ، إلى رجل من مواطني مدينة هليوبوليس بالشماء . هاجر إلى  
القسطنطينية عندما استولى العرب على بلاده . وكان هذا الرجل من حذق  
أعمال الهندسة والكيمياء<sup>(١)</sup> ، واستطاع أن يصل إلى اختراع النار البحرية  
في الفترة التي كانت فيها الأساطيل العربية تحاصر مدينة القسطنطينية . وكان  
الروم يتلهفون على أي سلاح يساعد على القتال ، فاجتهدوا في تطوير  
السلاح الجديد الذي أطلقوا عليه « النار البحرية » ، ولم تصفها كتبهم  
ضد السفن في البحار . ولم تصفها كتبهم ضد السفن في البحار . ولم تصفها كتبهم  
زاد اشتعال النار كلما ألقي عليها النار .

واستطاع الروم الاحتفاظ به  
وعرفت باسم « النار الإغريقية » أو « النار الرومانية »  
فكانت أهم الوصايا التي يلقنها القادة  
مقاليد الأمور ، هي الاحتفاظ بالسلاح  
في مؤلفاته بما قد يكشف عن سوء حال  
وحى الله وإلهامه . ثم أن دولة  
المفرقات أو السفن المجهزة بقذائف  
سر تركيبها .

غير أن العرب لم ينفوا ذلك  
وأقبل علماءهم في الكيمياء

بملا يختلف عما ذكره أحد كتاب الروم من وصف تركيب تلك النار  
في القرن العاشر الميلادي ، إذ قال : « إذا أخذت كبريتا ثقيلا من حامض  
الطرطريك والشمع الفارسي والقار الخام والنترات ، ثم مزجت الخليط  
معا ، وغسست في هذا الخليط نسيج الكتان ، ثم أشعلت فيه النار انتشر  
اللهب في الحال ، وتطفئ هذه النار الرمل فقط أو الخلل » .

ثم تطور هذا السلاح فيما بعد وظهر منه نوع أشبه بالمفرقات ، وكانت  
تسكن من فرقتين : الأولى التي تحتوي رطلا من الكبريت المسحوق مع  
رطلين من الزيت البشري ، والثانية التي تحتوي رطلين من البوتاس وملح البارود ،  
أما النوع الثالث فهو خليط من هذه المكونات الثلاثة ، والذي يغطي  
تحتوي أسلحة جديدة ، وتسمى هذه الأسلحة وتنفذ في الهواء بواسطة  
المخاريق ، ويسمى هذا النوع « النار المسحوقة » ، وكانت عبارة  
حافظتها ، فبحر أن النار المسحوقة كانت تسفن الحربية ، فكانت عبارة  
نص كتاب من مؤلفين مجهولين من مهمة المركب . وكانت توضع على  
مقعدات السفن ، قبل تصويرها بالأسود وغيرها من الحيوانات الضارية  
بسمت من أكلهم النار ، وهو على سفن الأعداء<sup>(٢)</sup> .

« تظهر تقنية الأسطول العربي في استخدام هذا السلاح الجديد خلال  
الحملات الفاطمية التي يشار إليها في بعض ذلك الأسطول . وقد أشاد الكتاب  
والشعراء بفعالية هذا السلاح ، وكيف أنه جعل من سفن  
الأسطول الفاطمي قوة لا تقهر ، ثم أن المراكب الفاطمية كانت

Bury, op cit II, 310 ; Oman, History, op cit II, 177 (١)

Gibbon, op cit, 797

Ibnon, op cit II, 796 (١)

تحتى من نار العدو وقذائفه بتقطعة هيكلي  
«لبوس» عليه غطاء يسمى «لبود» من جلود البقر  
على حين يحمي رجال الأسطول من الحروب  
ويشهد هذا التقدم الباهر الذى  
واستخدامها كذلك بمقدرة العلماء العرب  
السلطات العربية لم تدخر وسعاً في التفتيش  
رجال الكيمياء بما يحقق للملاد الهبة

تجتمع المراكب وهي مزينة بأسلحتها ولبودها وما فيها من المنجنقات ، ثم تقوم هذه المراكب ، أمام الخليفة وجموع الحاضرين بالحركة كما تفعل تماماً في حالة القتال . وبعد انتهاء المناورات يدعو الخليفة للأسطول بالنصر والسلامة ، ويمنح بعض الهدايا والخلع إلى رئيس الأسطول والقواد .

وبعد أن تتجمع السفن بالميناء المخصصة للغزو يصدر أمير البحر أوامره للرؤساء بالإبحار ، وكانت المينة الأولى التي يضطلع بها أمير البحر في تلك المرحلة هو إخفاء أسطوله عن أنظار من يتقن إغارات من الأعداء ، وليستطيع اتخاذ المراكب التي تنسفر به الهلبة . ومن التطلعات التي اتبعها أمير البحر لإجادة التخيبي لا بد من أن لا يترك أسطولاً من الأساطيل ولا يشعل متسباحاً ، ولا يشتد الخوف من أن يكتشف أسطولاً من الأساطيل من بعد .

وكانت تعبته في أشبه بالجسر ، وحاول العدو الاقتراب من سفن الأسطول وتفرقها

غير أن الأسطول في المعارك اتسم بالاقتراب من العدو في تلك الحالات التي تركد فيها الرياح

وضع ألواح بين جوانب السفن ، أشبه بالجسر ، بحيث تمكن الجند العرب الانتقال إلى العدو ومحاربه وجهاً لوجه ، على نحو ما حدث في وقعة ذات الصواري .

وهذا الفن الحربي من قتال البحر يكشف عن ملكات العرب الفذة ، وقدرتهم على الاستفادة من النظم الحربية القديمة . ذلك أن محاربة العدو على ظهر سفينة من ابتكار روما حين اصطدمت مع قرطاجنة سنة ٢٦٠ ق . م . فقد تحلى الرومان في تلك المعارك عن طريقة دق أو قطم محاذيف الأعداء ، والاستعاضة عن ذلك باتخاذ نوع من الكبارى الطويلة ( أو كما كانت تسمى Corvus ) القابلة للرفع ، تشدها بكرة إلى سارية المركب ومنها يتخطى خطاطيف الأعداء في سفن الأعداء حين تقترب منها . ثم

الذي ابتكره الرومان عن الاستفادة منه . إذ كان الرومان يطيل العريية ، ويجهزون قدر طاقتهم من حصى الأجر ، وما حفر العرب على تلك العصور الوسطى ، حيث مكنت السفن الحربية تواجه أحياناً لا تتفق مع خططها ، على نحو

تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن في تلك الحالات التي تركد فيها الرياح





## المراجع الأوربية

- Bell, H. I. , The Aphrodito papyri ( Der Islam ).  
 Brehier, L. , Vie et Mort de Byzance ( 1949 ).  
 Cedrenus , Annales ( 1566 ).  
 Dozy , Supplement au Dictionnaire Arabes.  
 Finaly , History of Greece ( 1877 ).  
 Pournel , La Conquête de L'Afrique.  
 Gibbon , The History of the decline and fall of the Roman  
 Empire ( 1923 ).  
 Hill, G. , A History of Cyprus ( 1940 ).  
 Hitti , History of the Arabs ( 1940 ).  
 Kinderman , Schiff.  
 Kremer , Orient under the Caliphs.  
 Lammens , La Syrie ( 1921 ).  
 Le Strange , Palestine under the Muslems ( 1890 ).  
 Mercier , Histoire de L'Afrique ( 1886 ).  
 Muhammed Hamidullah, Muslim Conquest of Persia.  
 Muir , The Caliphate ( 1942 ).  
 Runciman , Byzantine Civilisation ( 1931 ).  
 Semple, E. , The Geography of the Mediterranean ( 1908 ).  
 Vasiliev , Byzance et les Arabes ( 1933 ).  
 Histoire de L'Empire Byzantin.

- محمد كرد علي : خطط الشام  
 محمد المنجلى : التديرات السلطانية ( مخطوط )  
 المسعودى : مروج الذهب ( مصر )  
 المقدسى : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ( لبنان )  
 المقرئى : الخطط ( بولاق )  
 النعمان : المجالس والمسائر ( مخطوط )  
 ولز : معالم تاريخ الإنسانية ( ترجمة عبد العزيز جلود )  
 ياقوت : معجم البلدان  
 اليعقوبى : كتاب البلدان ( لبنان )

الفصل الثالث

صفحة

٥ - و

١٦ - ١

٤٣ - ١٧

١٧

٢١

٢٨

٣٦

الفصل الرابع

٤٤ - ٦٥

٤٤

٤٧

٥٦

الأساطيل العربية (في غرب البحر الأبيض المتوسط)

علايم البحرية البحرية  
عربية استوائية السبع  
انحصار الخانات القسطنطينية

الفصل الرابع

٦٦ - ١١

٦٦

٧٥

٨٤

الأساطيل العربية (في غرب البحر الأبيض المتوسط)

علايم البحرية الغربية  
أسطول الأغالية وفتح صقلية  
نشاط الأسطول الأندلسي

## مؤلفات الجمعية الثقافية المصرية

بإشراف الأستاذ عمر الدسوقي

رئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم  
جامعة القاهرة

صدر منها :

- ١ - قصة الملكية في العالم : من سلسلة حياة المجتمعات تأليف الأستاذ الدكتور  
علي عبد الواحد وافي ، والدكتور حسن سمعان .
  - ٢ - ازواج التنسكية : من سلسلة المذاهب الأدبية الكبرى  
تأليف الدكتور محمد غنيمي هلال .
  - ٣ - زوايا الفكر : من سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب  
تأليف الأستاذ سامد عبد القادر .
  - ٤ - ازواج التنسكية : من سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب  
تأليف الدكتور حسن سمعان .
  - ٥ - التنسكية في الأزمنة الحديثة : من سلسلة الأدب والنقد  
تأليف الدكتور أحمد محمد الحوفي .
  - ٦ - قصة الزواج والحرة في العالم : من سلسلة حياة المجتمعات  
تأليف الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي .
  - ٧ - تاريخ الفكر الاقتصادي : من سلسلة الاقتصاد السياسي  
تأليف الدكتور أيوب شقير .
  - ٨ - بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني : من سلسلة الدراسات الإسلامية  
تأليف الدكتور صوفي حسين أبو طالب .
  - ٩ - ازواج التنسكية : من سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب  
تأليف الأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي .
  - ١٠ - السرقات الأدبية : من سلسلة الأدب والنقد  
تأليف الدكتور بدوي طبانة .
- ( ٢ - ١٢ الأساطيل المربية )

## الفصل الخامس

### الأسطول العربي في أوج مجده

فتح إفريقيش ( كريت )  
تدعيم القوات البحرية في مصر والشام  
الأسطول الفاطمي  
أ - في غرب البحر الأبيض المتوسط  
ب - في شرق البحر الأبيض المتوسط

## الفصل السادس

### قواعد الأسطول ( ودور الصناعة )

القواعد البحرية - في الشام  
في مصر  
في المغرب  
في الأندلس  
دور الصناعة وبناء السفن  
قطع الأسطول

## الفصل السابع

### قيادة الأساطيل

أمرام البحار  
معدات الأسطول  
النار البحرية  
المناورات البحرية وإدارة المرسى  
المراجع  
الخرائط  
الأسطول العربي في شرق المتوسط  
الأسطول العربي في حصار القسطنطينية  
الأسطول العربي في غرب البحر الأبيض المتوسط

مؤلفات الجمعية الثقافية المصرية بإشراف الأستاذ محمد الزعبي رئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم

- ١٢ - الحريات العامة بين المذهب الفردي والمذهب الاشتراكي : من سلسلة الاقتصاد والسياسة : تأليف الدكتور طهمة الجرف .
- ١٣ - أبو حيان التوحيدى : (جزآن) . من سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب تأليف الدكتور أحمد محمد الحلو .
- ١٣ - هوميروس : من سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب تأليف الدكتور محمد سعيد حجازي .
- ١٤ - حقوق الإنسان في الإسلام : من سلسلة الدراسات الإسلامية تأليف الأستاذ محمد كمال علي محمد الواحدوف .
- ١٥ - تهذيب الحيوان للجاحظ (الجزء الأول) : من سلسلة الأدب والنقد تأليف الأستاذ عبد السلام هارون .
- ١٦ - بوذا : من سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب تأليف الأستاذ حامد عبدالقادر .
- ١٧ - موقسكيو : من سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب تأليف الدكتور حسن صفان .
- ١٨ - أبو حنيفة والقيم الإنسانية في مذهبه : من سلسلة الدراسات الإسلامية تأليف الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى .
- ١٩ - مع الصحفي الكافح : «أحمد حلمي» : من السلسلة التاريخية تأليف الدكتور أحمد أحمد دوى .
- ٢٠ - تهذيب الحيوان للجاحظ (الجزء الثاني) : من سلسلة الأدب والنقد تأليف الأستاذ عبد السلام هارون .
- ٢١ - من قضايا الفنة والنحو : من سلسلة الأدب والنقد تأليف الأستاذ علي النجدي ناصف .
- ٢٢ - الأساطيل العربية في البحر الأبيض المتوسط : من السلسلة التاريخية تأليف الدكتور إبراهيم أحمد العدوى .

الكتاب التالي من السلسلة الثقافية

( بعض مؤرخي الاسلام )

بفلم

الأستاذ علي أدهم

مكتبة جامعة القاهرة

